ضحى
رواية
أحمد سمير
دار المحروسة للنشر والتوزيع

ضحى

أحمد سمير

اســـــم الكتـــــاب: ضحى
اســم المــؤلـــــف: أحمد سمير
التـرقيم الـــــدولي:**978-2-12-345633-9**

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع المشهرة برقم ٢٤٨٢١ بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

تعيش الروح في مشقة حتى تستوفي ميولها ورغباتها باحثة عن الاستقرار والترقي وإذا ما استوفت لحقت بالروح العليا للكون سواء كانت في جسد وأحد أو عدة أجساد متعددة .

(الكارما)

١

القاهرة عام ١٩٨٢ م أنهيت دراستي الجامعية بكلية الآداب وتخرجت من جامعة القاهرة بتقدير جيد والآن يجب علي مرافقة أهلي الشيخ عليق الجابر أبي وناصرة تلموذ أمي وإخوتي الستة للعودة إلى نجع أبو دبور في عمق أعماق جنوب سيناء لاسترجاع حياتنا السابقة وسط أهالينا وذوينا الذين ننتمي إليهم ونشكل جزء منهم ضاربين بعشر سنوات كاملة في القاهرة عرض الحائط

ولكن كيف يكون ذلك ؟

أأتخلى عن الحضارة والمدنية وأعود إلى مصادقة الخراف وبعض العفاريت الليلية ؟

لن أعود !

لم افرح واسعد واقفز في الهواء مثل أصدقائي وزملاء دراستي عندما رأينا أسمائنا على كشوف الناجحين المعلقة على جدار ولوحة الإعلانات داخل الجامعة فانا الوحيد فقط الذي أعرف ما معني أن أكون ناجحا في السنة النهائية فمنذ سنتين لم استطع أن ارفض طلب وأمر والدي بالعودة إلى سيناء إلا وأنا استخدم كيف اترك كل سنوات التعليم السابقة ؟

كيف أضحي بما حلمت به واجتهدت من اجله ؟

وعندما اشتدت رغبته وتصميمه لم أجد إلا الضغط عليه بسنوات عملي معه منذ أن كنت ابن العاشرة

عندما نزحنا إلى القاهرة واستوطنا وسكنا بدروم في حي الشرابية بالقاهرة لم يكن في حوزته إلا بضع جنيهات هي

ثمن قطيع الخراف الذي كان يملكه ونحن في سيناء لم يكن بالمبلغ الكبير نظرا لنفوق بعض الخراف بسبب الجوع وقلة الطعام فقد ضاقت الدنيا علينا وانحصرت حتى لفت أطرافها وأذيالها حول أعناقنا فمن الجهة الشرقية إسرائيل ومن الجهة الغربية مصر بجيشها .

لم يعد هناك متسع لنا .

لم تعد الأرض الشاسعة برمالها الحمراء والصفراء تتسع لخرافنا ونحن من خلفها كانت ترعي ونحن نرعى من خلفها .

رفض والدي أن يشارك ويساعد اليهود مثلما فعل الكثيرين ليتقاضوا الآلاف من الجنيهات و الكثير من مختلف أنواع الطعام والأجهزة وأيضا السلاح , فضل أن يترك حياته وذكرياته وأرضه التي لا يعرف غيرها ويذهب إلى القاهرة كشحاذ أو متسول ونسي تماما أن من يعيشون بالقاهرة أصبحوا الآن لا يملكون ما يعطونه كصدقة أو إحسان .

فمن أين يتصدقون ؟ بالكاد مرتباتهم تكفيهم والحياة أصعب ما يكون وكل من يملك شيئا زائد عن حاجته لم يعد لديه القوة أو الرغبة في التفريط فيه .

لم يجد والدي إلا أن يؤجر هذا البدروم ذو الثلاث غرف والغارق في الرطوبة والرائحة التي تقتل الروح قبل أن تسد مسام الشم في الأنف ويشتري بأخر مبلغ لديه عربة خشبية ليجرها خلفه وهي فارغة وأمامه عندما تمتلئ .

تعلم أن ينادي ويصيح بكل قوته وهو يتنقل بين حي مصر الجديدة ومدينة نصر كان يقطع المسافات التي تصل إلى

ثلاثون كيلومتر وهو يدفع عربته الخشبية الثقيلة أمامه فقد كانت عجلاتها من الخشب أيضا .

وبعد أن أتقن واستخدم ثيمة تدل عليه بدأت البضاعة تطل عليه وفي مثل هذا الزمن لم يكن لمعظم سكان القاهرة أن يفرطوا في أي شيء مهما كان سفيها إلا بثمن حتى أن أحد صولات الجيش المتقاعدين والذي يقطن مع ابنته دكتورة الجامعة في مدينة نصر لم يترك حذائه الميري الذي استخدمه شهورا طويلة إلا بثمن دفعه والدي بعد عذاب الكلمات وفقر وذل النظرات لم أعرف في حينها كم أعطاه والدي ثمنا له ولكني متأكد انه دفع له بعض القروش ليتركه مع بعض الكراكيب الخشبية التي استغنت عنها ابنته الدكتورة وزوجها ضابط الشرطة الكبير .

منذ أن تعلق تراب القاهرة على رجلي وأنا أرافق والدي في عمله فانا اكبر إخوتي ومنذ أن عرفت الكلمات والحروف طريقا لفمي ولساني كنت أرافقه وهو يرعى أغنامه لم يكن في مخيلته أن أكون متطلعا للتعليم كنت اخذ معي كراستي وأنا أسير معه خلف الأغنام وأراجع دروسي وكلماتي وعندما اذهب للمدرسة بعد يومين كنت دائما المتفوق على كل زملائي في الفصل كانوا سبعة أطفال فقط والمسافة بين مكان إقامتنا والمدرسة تبلغ حوالي التسعة أو العشرة كيلومترات .

كنت أتجمع أنا واثنين يسكنون بعدنا بمسافة قليلة عند باب الشيخ نوري الذي كان يضع ثلاثتنا في عربة صفيح صغيرة مركبة بجانب الموتوسيكل ثم يعود بعد انتهاء الدراسة ليأخذنا مرة أخري وكانت الدراسة ثلاثة أيام فقط في الأسبوع ولكني كنت أسعد طفل في العالم .

كنت أعد الأيام واسحب في دقائقها حتى تمر من حولي لأري نفسي وقد بلغت العشرون حتى اهرب من هنا جريا إلى الدنيا الحقيقية .

إلى المدينة ..

إلى المدنية ...

إلى الحياة الطبيعية لأي إنسان كان دليلي هو مدرسنا المدرس المغترب القادم من عمق غياهب الريف المصري في الدلتا

جاء إلى هنا ولم يكن يعود إلى أهله وزوجته وأصدقائه إلا كل شهر مرة وأحدة لمدة أسبوع وقد كان يستكثر ذلك كثيرا .

كان يشعر بالهدوء والحنين لدينا وكنت استغرب ذلك كثيرا كيف يشعر بالهدوء والسعادة والغامرة بين لونين لا ثالث لهما بين رنات وموجات صوت الجبال وهي تضرب كل أذن لتذكر العقل من خلفها أننا هنا في عمق اللاشيء في مكان مسروق من بين أعتاب الحياة الإنسانية الطبيعية .

وعندما كبرت قليلا واستطعت أن اجمع الجملة في عقلي نطقت بها وسألته .. أجابني بعد أن نظر إلي لثواني قائلا :

كلها سنوات وستعرف جيدا ما معني الحياة وكيف هي حياة الإنسان ستعرف جيدا إنها قصيرة جدا ومن يضيع منها دقائق في كل يوم ستكون في النهاية جزء من عدد السنوات من عمره

فما اغبي الإنسان الذي يضيع الليالي في الهم ومن يسلبه النهار اندفاعه على دنياه .

وعندما بلغت العاشرة وقبيل أن ننتقل إلى القاهرة عرفت كما عرف أهل النجع كلهم انه ذهب إلى إسرائيل متسللا أثناء الليل ليعيش هناك فقد بقي بيننا سنوات طوال ولم يعرف اكبر شيوخنا انه كان فخا كاملا ينقل الأخبار إلى إسرائيل باحثا لنفسه عن حياة يستمتع بها .

هرب أولا إلى الوظيفة مبتعدا عن جهل والده وتخلف زوجته التي دخلت عليه وهو ابن ست سنوات لتسقيه ويلات العذاب من الجهل والخزعبلات ولم تسترح إلا بعد أن خرج جريا من البيت هاربا إلى بيت خاله ليستقر لديه حتى انهي تعليمه الثانوي ليعود مرة أخرى لمجرد اكتمال الصورة أمام الفلاحين في قريته وبمجرد أن تخرج جاءت المظاريف تطلبه للعمل في أقصى بقاع مصر لدينا نحن بعيدا كل البعد عن والده الذي لم يفكر طوال السنين يسأل عنه ولو مرة حتى بعد أن كبر وتسلم عمله لدينا أرسل إلى والده يطمئن عليه لم يتلقى أية ردود ولم يكن هناك داع لعودته سوي علاقة حبه الدفين الذي تربي معه على مدار السنين لابنة خاله التي زوجت من أحد الأشخاص في لمح البصر دون أن يعيروه أي اهتمام سوي أن يخبروه بموعد زفافها .

كان الكره قد تملك منه وطغي كره كل الدنيا داخل محيطه حرم في طفولته من أية معالم تدلل على انه طفلا يعيش سنه فبالرغم من أن خاله قد احتضنه فقد كان بخيلا وضخما غير مبالي بأي شيء إلا بأبنائه وكان يستغل الظرف ويرسل إلى والده طالبا المال نظير احتضانه له حتى أن والده باع لخاله عشرة قراريط من أرضه لتكون هذه الأرض هي نهاية كل شيء ليبقي الطفل بعيدا تماما عن أي جذر له وبعد أن وضع عقد البيع في جيبه تغيرت المعاملة وأصبحت جافة وباردة لا

تحمل في داخلها سوي شخص يقدم الطعام ومكان للنوم ليس أكثر .

جاء إلى هنا محطما كليا وليس في مخيلته إلي الاستمتاع بما تبقي له من سنوات في عمره فقد وضع لنفسه أمام كل سنة مرت من عمره سنتين من الاستمتاع بحياته وفي أول محاولة لتجنيده وافق بكل قوة ضاربا بكل شيء عرض الحائط واتفق معهم على الإمداد بالمعلومات أيما تقع تحت يده على أن ينتقل بعد أن يقضي مهمته إلى جنان إسرائيل كما وعدوه وتخيل .

سمعت أنا كل هذه الكلمات وشعرت بها بعد أن اختفي كنت اجلس بين الرجال استمع لهم لأتعلم شئون الدنيا كما يجب هكذا كان يعلمني ويدفعني والدي ولم يكن في أدق وأعمق تخيلاتنا أن تسير بنا الدنيا طويلا وتقذفنا في وسط القاهرة بعيدا عن امتدادنا واصلنا وها هو اليوم يحاول والدي استعادتي للاختلاط بالرمل وذراته الجافة عديمة المعني والروح لم أجد إلا أن اكسر رغبته باستعادتي معه إلا بتوضيح الرؤيا باني أنا من عملت واجتهدت وخرجت أرافقه كتفي الصغير والنحيل بكتفه كي نجمع كل قمامات الناس من مخلفات أثاثهم لنعيد تلميعها وتجديدها لتعرض في أسواق المستعمل ونبيعها بمبلغ فيه مكسب معقول لنا لم يكن ليقوى ويكمل طريقه إلا بوجودي جواره كيف كان سيتحمل رخات البرد والأمطار بصقيعها في أيام الشتاء إلا بوجودي ادفع العربة بكل قوتي أنا من كان يحمل كل قطعة تلو الأخرى من أعلى الطوابق نزولا إلى سطح عربتنا وهو كان يتناقش ويتكلم فقط حتى إعادة تجديدها كان دائما الجاني الشاق والطويل محملا على كتفي وبعد كل هذا العناء لم أكن اصرف قرشا وأحدة من مكسبي بل كنت دائم ادخاره لأصرفه

على دراستي واليوم يريد بكل البساطة أن يخلعني من دنيتي .

أنا لست اقل من أستاذي ومدرسي الذي ترك كل المبادئ الفاشلة باحثا عن الاستمتاع بدنيته القصيرة .

بل أنا أفضل منه هو لم يعاني ولم يولد في فراغ من الأيام في بقعة ليست موجودة إلا على الخرائط الجغرافية فقط ولكن عندما تنظر إلى خريطة الحياة الإنسانية ستجدها بقعة بيضاء خالية تماما من أية تضاريس بارزة أو محفورة فقط بقعة بيضاء وملساء تماما .

لن أعود معك يا أبي ؟

لن أعود إلى أجوف أنواع الحياة التي عرفتها الإنسانية

ولكن هناك جانب صغير بداخلي يحدثني كل مدة ويدفعني أليس لإخوتي حق علي أن أساعدهم في الوصول إلى بداية الطريق إلى الحياة

ثم ماذا بعدها يتنكرون لي ولا يعرفون كم ضحيت من اجلهم

لا لا

لن اسمح لباطني أن يطفو أعلى أهدافي أنا

ولكن ما ذنبهم أنهم ولدوا أبناء لهذا الرجل

ألم يكن من العدل والحق أن أولد وهم في مكان كالقاهرة بل أوروبا لا لا لا بل أمريكا بكل انفتاحها

لا لا لا بل إسرائيل بكل كيانها

لماذا أتخبط في دهاليز وخلجات أفكاري هكذا الم يكن أستاذي ومدرسي وأنا طفل يعرف كل هذه التخبطات الفكرية .

من المؤكد أنها مرت عليه وفكر فيها مثلي بل ربما يكون قد فكر فيها أكثر مني واتخذ قراره بالهرب دون عودة إلى التلاقي مع نفسه العطشى للروح الهائمة في محاسن وجمال الدنيا كلها .

كيف اسمح لنفسي أن أعود مرة أخرى لأغرز رجلي في أعماق الصخور والرمل لتلفحني الشمس الحارقة بكل الفراغ الذي يحيط بها وغيري يستمتع بكل لحظة من دنيته .

لابد أن أفكر واستطرد حتى اصل إلى أفضل الأفكار التي يمكن تحقيقها وأكون اسعد أنواع البشر .

فلتتركني يا شيخ محمود هنا حتى أعرف في أي مكان سيكون طريقي في العمل وساعتها سأحدد أين يتجه قدري

عاد الكل أبي وأمي وإخوتي كلهم لم أعد أتحمل أن أعيش في هذا البدروم النجس بل سأذهب للإقامة مثل بعض الأصدقاء أعلى سطح عمارة كبيرة تطل على نيل شبرا ومنها سأتصيد لنفسي أفضل الأفكار ولا أضيع يوم من عمري مرة أخرى.

٢

-ها هي الدنيا بجمال شمسها وهي تتكسر بجبروتها على صفحات المياه بضخامة كميتها وهي مسرعة نحو تلاقيها مع البحر وها هو السطح متسعا يعطيني الإحساس بأيامي كلما نمت واستيقظت أليس كذلك ؟

- نعم نعم بالفعل ليس هناك أية أوجه للمقارنة بين هنا والبدروم الذي عشت فيه سنوات من عمرك

- لقد حسبتها لم أعش فيه سنوات كما تتخيل لم أكن ادخله إلا للنوم عدة ساعات بسيطة وعندما كونت صداقات مثل صداقتي بك كنت اقضي بعض الأيام في بيوتهم هاربا من مجرد التفكير في أن أغمض عيني بداخله.

- الست سعيدا الآن ؟

- نعم سعيد ولكن ليس بشكل كامل مجرد قشور من السعادة إنما السعادة الحقيقية والكاملة .. ما زلت أفكر كيف أصل إليها ؟

وما هي أقصر وأقرب الطرق المؤدية إليها ؟

- لابد وأن تحدد ماذا تريد بالضبط أو ما هو مفهومك عن السعادة لكي نستطيع البحث عن الطرق المؤدية إليها فلكل منا منظور خاص ورؤية لمعني السعادة في الدنيا .

- أنا أعرف جيدا عن ماذا ابحث ولو لم تكن صديقي لغرزت أظافري في رقبتك لن يستطيع أي إنسان أن يشكك في رغبتي ومفهومي عن الدنيا كلها

- آسف آسف فلتترك حنجرتي وأعدك بالا أتحدث مرة أخرى

- وماذا ستكون فائدتك إذا ما بقيت صامتا ؟

- إذا ماذا تريد مني ؟ ! أتحدث أم اصمت ؟ أم أنصت إليك أم أسديك نصيحتي ؟

- يجب عليك أن تفعل كل ذلك وأكثر فهذا دور الصديق في الدنيا

- حاضر أنا لا أستطيع أن أتركك فنحن صديقان ولن أتخلى عنك أبدأ

- أنا أعرف طريقي جيدا وأعرف كيف أبدأ فيه أولى خطواتي فلتسمع رأيي ونظريتي

تتذكر جيدا الأستاذ نصر

- نعم أتذكره .. الجاسوس

- لا تقل عليه جاسوس بهذا الشكل

- كيف إذا أن انطق كلمة جاسوس فهي كلمة لا تحمل إلا معنى وأحد .

- قلت لك لا تتحدث عنه بهذا الشكل

- أه عيني عيني كدت أن تفقدني عيني لماذا كل هذا ؟ الم يكن جاسوسا الم يبع بلده ووطنه ؟ الم يهرب منها ؟ الم يترك فيها كل ذكرياته ومكوناته كانسان ؟

- لا لا بل كان أكثر الناس معرفة بمعني كلمة إنسان عندما كنا صغار لم افهم جيدا معني ما فعله إنما الآن فهمت بل تشربت ووصلتني فكرته وهدفه عندما كان صغيرا فقد

جزء تلو الأخر من شعوره بكونه إنسان لـه قدسية علـى وجـه الأرض وبمجرد أن تسللت سنوات عمره وحملته رجليه ونمى عقله واستوعب ما يدور حوله عرف أن التـاريخ لا ينسـى ولا يطمس قديما كان هناك أسياد وعبيد ,ملوك ورعيـة وأغنيـاء وفقـراء لـيس لهـم أي دور فـي الـدنيا سـوي خدمـة الملـوك والأغنياء والإنسان الذكي في مثل هذه العصـور هـو مـن كـان يستطيع الوصول إلى الدرجة التي تعلـوه ثـم التـي تعلـوه حتـى يصـبح غنيـا أو سـيدا فيعـيش الـدنيا كمـا يجـب أن يعيشـها اى إنسان هاربا ومبتعدا على دائرة العبودية التي كـان يبـاع فيهـا الإنسان بقطع نقدية استخرجت مـن بـاطن الأرض وحتـى بعـد أن أنتهـت العبوديـة تقريبـا مـن معظـم بلـدان العـالم مـازال الإنسان يباع ويشتري ويتاجر في جسده الذي يملكه حتى يومنا هذا مازالت هناك بلدان فيهـا تجـارة الإنسـان حتـى ولـو كانـت بشكل مقنع أو مختلـف عـن مـا سـبق وإذا افترضـت انـك أنـت كنت وأحدا ممن يعيشون في هذه البلدان وكنـت عبـدا أو فقيـرا عرضة للبيع والشراء مثلك مثل أي حيوان أو سلعة كيف كنت ستقول .

هل ستنتمي لمثل هذا الوطن وتقول هذا وطنـي ولا أبيعـه أو أتاجر بمصيره أو مصالحه.

- بالطبع لا ولكني كنت سأحاول الهرب منه مبتعدا

- الهرب منه وتركه مثله مثل من يبيعه والفارق الوحيـد هو أن من باع على الأقل قد قبض ثمنا لما باعه إنما من هرب لـم يتقاضـى أجـرا عـن الهـرب وكلاهمـا متسـاويان فـي عـدم إمكانية عودتهم مرة أخري إلـى تلـك البقعـة مـن الأرض التـي تسمي وطن

- افهم من ذلك انك تتخلي عن وطنيتك بأي ثمن ؟

- ليس بأي ثمن ولكن الثمن سيكون سعادتي الكاملة وحياتي كلها كما تمنيتها وحلمت بها

- ما هي السعادة في نظرك ؟ المال ؟ النساء ؟ الخمر ؟ اللهو ؟ ماذا تكون ؟

- السعادة في نظري أعمق واكبر من كل ما ذكرت لو استطعت أن تجمع المال وتمزجه بكل ما ذكرت ربما يكون هذا جزء من المعني الذي أقصده .

- يمكنك أن تعمل وتجتهد وتحصل على المال الكثير الذي يوفر لك السعادة

- ربما يكون ما تقول جائز نظريا ولكنه سيكون بعد كم سنة من سنوات عمري القصير على وجه الدنيا كما أن هذا المال من الجائز أيضا أن يكون بلا قوة بلا سلطة بلا هيمنة على الجو المحيط بي .

- التمس في كلماتك إحساس بان تكون مالك الأرض كلها

- ربما يكون الإحساس به لمسات استمتاع بهذا المعني ما المانع

- أنسيت الله تماما

- لم انسي أن الله موجود وهو خالق الكون بما فيه ولكني سأعمل عقلي واستخدم كل ذرة من عقلي في الوصول إلى هدفي فقد أعطاني الله عقل يستطيع صنع المعجزات على مقياس البشر فلماذا لا استخدمه ؟

- أتستخدم هدية في إغضاب من أهداك إياها

- قلت لك اصمت و إلا سأفقأ عينيك

- طلبت مني أن أشاركك الفكر فلماذا إذا تطلب منـي أن اصمت الآن ؟

- تصـمت عنـدما لا يسـتطيع عقلـك الصـغير المحـدود استيعاب الأفكار التي تصدر من عقلي أنا

- وما هي الأفكار التي لا أستطيع استيعابها

- منذ قليل ذكرت دون أن تشعر أن الأستاذ نصـر فكـر وفكـر ووصـل إلـى ملخـص ماهيـة السـعادة مـن وجهـة نظـره وتخلي عن الحيز الجغرافي الذي ولد فيـه مـن اجـل الحصـول على سعادته وهو بذلك فقد جزء من ذكرياته التي يمكن العودة إلى أماكنها لارتشاف بعض قطرات السعادة أما أنا فلن أتخلى عن هذا الجزء .

- كيف يكون ذلك ؟

- ستعرف عندما تـرى الأحـداث تمـر أمامـك علـى ارض الواقع وعندما أمرك أن تصمت فلتصمت تماما

لم أكن أحادث صديقي بل كنت أحادث نفسي التي تجسدت في صوت إنسان له نفس الهيئـة ولكـن لـيس نفـس العقـل لـيس نفس القلب أو الضمير أو حتى الـوعي الإنسـاني كنـت أحـادث أحد مـا شـكله يشـبهني تمامـا مـن الخـارج إنمـا مـن الـداخل لا يشبهني بالمرة ليس أنا .

لا يريـد مـا أريـد لا يعـرف مـا أعـرف لـم يشـعر بـنفس شعوري هو فقط صوت يحادثني ويتداخل معي وأحيانا يتجسد أمامي .

بل إنه في بعض أو أغلب الأوقات كان يعد الأكل والشـاي وكنـت اسـتطرد فـي سـيطرتي عليـه فـي أن أرسـله لإحضـار بعض الأشياء من الخارج بما فيها الحشيش والبراندي .

كانت أهم مميزاته بالنسبة لي هي إمكانية التسلل بين الناس دون أن يشعروا به فلم يستطع مخبر أو عسكري أو حتى ضابط شرطة أن يوقفه ويسأله ماذا تحمل أو إلى أين تذهب ومن هنا كانت قمة أهميته لي لم استطع أن أفكر حتى في الاستغناء عنه وهو بالتبعية كان ملتصق بي ولا أعرف لماذا ؟ ربما لرغبته الدفينة في أعماق قلبه وعقله بتذوق طعم السعادة كما أراها أو أتمناها وكان يتخيل بأنه أذكى مني سيجعل نفسه خارج التجربة فإن أعجبته بقي واستمتع وان لم تعجبه أو حدث شيئا ما فيستطيع بمنتهي البساطة التخلي عني ولكني لن اترك له الفرصة لفعل ذلك وسأتركه يتخيل أنه يمكنه العودة وقتما شاء فإذا خضت التجربة يجب أن أكملها حتى أعرف هل كانت مفيدة أو غير ذلك ومستعد تماما لتحمل كل النتائج .

فأنا منذ زمن كنت أفكر في ماهية الموت وماهية الحياة ماذا تعني الحياة وكيف يكون الموت بالنسبة لها هل هو القاتل الذي يأتي دون استئذان ليقتل الحياة حتى ولو كانت ناجحة ومرغوبة .

من المؤكد ليست الحياة مجرد الأكل والشرب والتنفس والنوم وتمرير الأيام حتى يشيخ الجسد لتقترب نهايته ليأتي الموت بمنتهي السهولة ويقطف الجسد فالحياة هي السعادة الكلية هي الإحساس بكل لحظة هي الاستمتاع بكل شيء وإذا أراد الموت اقتناص الحياة من جسدي فليأخذها رغما عني .

لن أتركها له فريسة سهلة يأتي للاستمتاع بها دون مجهود مثل الأسد الذي يجلس على الحشائش ينعم بالشمس الدافئة يلهو ويتقلب واللبؤة تقتنص الفريسة بعد أن تطاردها وتحاصرها وتقطع المئات من الأمتار قفزا وجريا وبعد أن

تدب مخالبها وأنيابها في عنق وحنجرة الفريسة يأتي الأسد بحجمه الكبير وفمه الضخم يلتهم أكبر نصيب من الفريسة .

فإذا كان الموت كالأسد فلن اسلم حياتي له بسهولة وإذا أراد أن يلتهم جزء من أيامي فليطاردني في كل الدنيا حتى تذوب مخالبه من الاحتكاك بالأرض أو أفقد رئتي من فزع الجري أمامه وربما أستطيع ضم الشجاعة إلى كشكول سعادتي فأقف أمامه ملوحا بيدي الكبيرة ليشم رائحة قوتي في الهواء فيفكر مرة أخرى ويعود أدراجه إلى نومه أو البحث عن فريسة أخرى غيري

فانا اليوم لا املك السعادة كيفما حلمت بها ولا أخاف من الأسد ولا أنتظر وقت انقضاضه علي

غريب هذا العالم من حولي وغريب عالم البشر تتقاتلون وتتناحرون طوال تاريخ من آلاف السنين باحثين عن الاستحواذ والسيطرة على النساء أو الطعام أو لمجرد فرض السيطرة والإحساس بالقوة يحجمون أنفسهم في أماكن وبؤر جغرافية ويضعون الأعلام والأسلاك حول أماكن تواجدهم ويسمون ما بداخل الأسلاك والأعلام أوطان كيف تكون أوطان وهي مغلقة ومحدودة وباقي الأرض شاسعة ومفتوحة وكل مكان فيها له ما يميزه

خلق لخدمة الإنسان وحده وهو نفسه الإنسان يحرم نفسه من ما خلق من أجله

أنا لا أنتمي إلي أي مكان أغلق منافذه ومخارجه على باقي الدنيا أنا أنتمي إلى كل الأرض حتى البحر بمائه الكثير وغياهبه السوداء أسفله أستطيع في يوم ما أن أطفو على سطحه واضرب بيدي مائه كله ذاهبا وعائدا في عرضه

إذا فليكن يجب أن أفكر وأفكر حتى أنل ما أسمو وأسمع فيه أنا لست اقل من أي إنسان حفر اسمه على صفحات التاريخ لتتناقل الأجيال اسمه يوما بعد يوما وهم يشهقون والذهول يعلو أعينهم وجبهاتهم من فرط الإعجاب لا .... لا بل على العكس أنا أفضل من كل إنسان فرض اسمه على عقول البشرية .

- اهدأ يا وارث لقد شطحت ومن المؤكد ستضيع في أحلامك وتخيلاتك وتتوه منك الخطوات

- ألم أقل لك اصمت يا موروث ودعني امضي في طريقي باحثا عن سعادتي في كل الدنيا

- من واجبي كصديق ومحدث أن أضيء لك شمعة تستنير بنورها قبل أن يلف الظلام طريقك

- لا أريد شموعك لا أريد شموعك .. شموعك السوداء هذه لا تضئ لي طريقي بل ستوجهني إلى عالم محدود ومغلق الطرقات لا أريدها لا أريدها

- فلتحتفظ بها لنفسك بعيدا عني وإذا أردت الاستمرار في صداقتي فلترمي بها بعيدا الآن لن يصدني إنسان عن المضي في طريقي إلى سعادتي سأقتنصها كلها مهما كانت الصعوبات والنتائج سأسعى إليها وسأكون سعيدا بكل خطوة نحو هدفي

- فلتخبرني ماذا ستفعل

- لا .. لن أخبرك إذا أردت المشاركة فعليك أن تشارك فعلا لا أن تختبئ من خلف ظهري تجني أفضل ما يمكن وتترك ما لا يعجبك

- لا أستطيع أن أتركك وأنت تعلم ذلك فانا صديقك مهما حدث وحياتي مرتبطة بحياتك .

٣

- لا تبكي يا شهيدة
- كيف لا ابكي ونحن نترك أيامنا وأحلامنا ودنيتنا هنا
- في الإسكندرية نفس الحياة لا اختلاف إلا في لون المياه

توكل على الله يا أسطى قالها الأستاذ محمود مدرس علم النفس بمدرسة النيل الثانوية بالإسماعيلية بعد أن صعد وجلس بجواره وفي صندوق السيارة البيدفور زوجته شهيدة وابنتيه ضحى ابنه التاسعة وسماح ابنة الثالثة ومعهم زوجة الأستاذ حنفي تاجر الخردوات وابنيه محسن وحسان ابني العاشرة والرابعة .

انطلقت السيارة تاركة الإسماعيلية مخضبة بالدخان وأثار القنابل والرعب في كل ليلة من قذائف الطائرات الميراج وبعد خمس ساعات اشتم الأب وزوجته رائحة اليود من جديد واستقروا جميعا في شقتين متقابلتين في عمارة صغيرة لونها أصفر يغلب عليه التراب في كوم الدكة .

استلم الأستاذ محمود عمله في أحدى المدارس الثانوية واستكملت الأم أعمال الكانفاه التي توقفت عن إنهاؤها بسبب القلق المتزايد في كل يوم من صوت أزيز الطائرات وذهبت ضحى لمدرستها الابتدائية بصحبة محسن الجار والصديق والحبيب .

كما اعتادوا سابقا في السابعة والنصف بالضبط يخرج كلاهما من باب شقته وتضع يدها في يده وتنسى كل شيء حتى تجلس على درجها الخشبي في فصلها وما أن يحين وقت الفسحة الصغيرة بعد حصتين إلا ويأتي محسن مناديا عليها ليتشاركا فطورهم في كل يوم لم يكن التشارك بأكل البيض والجبن بل بنظرات حانية ومسترسلة حالمة بسنوات تمر ليصبحا كوالديهم زوجان يعيشان سويا .كانوا ينظرون لمشاهد الحب والألفة ويخزنوها في مخيلتهم وأحلام مستقبلهم .

حب نقي نابع من قلوب طاهرة لم تمسها دوافع الشهوة وضواغط الغريزة والمتعة الجسدية إلا من غريزة الغيرة الإنسانية المزروعة بداخل الإنسان حتى قبل الميلاد لم تقبل ضحى أن تأتي فتحية ابنة الجارة بالأعلى أن تستذكر دروسها مع محسن زميلها في الفصل وثارت وطلبت من والدها أن يدعوا محسن للاستذكار معها في كل يوم في شقتهم حتى تقضي على الفكرة قبل أن تنبت .. ربما كانت ترى فتحية أجمل منها وقفت أمام مرآه صغيرة في غرفة والديها ترتدي فستان اخضر بكاروهات صغيرة وكرانيش خفيفة بيضاء عند المنتصف وتنظر لشعرها الأسود وضفيرتيها .. عيناها الواسعتان بلونهم الأسود النقي تنظر لخدودها الممتلئة وشفتها السفلى المكتنزة وتدور ببطء وحنو . ترى نفسها جميلة وتقلد أم محسن في مشيتها الانثوية لأنها تقريبا ملكت نفس الأرداف الممتلئة والممشوقة بنظم متوالي من الأعلى للأسفل .

جلست هي ومحسن للاستذكار على منضدة مربعة صغيرة في صالة الشقة وخلف الباب مباشرة وبجوارهم يجلس الأستاذ محمود بنظارته يقرأ الجريدة وتجلس سماح على رجله .

دق الباب ففتحت شهيدة لتجد الجارة بالشقة العلوية وفي يدها فتحية ابنتها تضع في شعرها فيونكات صفراء وترتدي فستان احمر مطرز بالترتر اللامع وبريق عينيها لا يخفى عن إعجابها بمحسن

جلست الجارة بجوار شهيدة تحكي لها عن زوجها صاحب مطعم الأمير واشهر شيف اسماك في بر إسكندرية وأنهم محزنون لما حدث في خط القناة نتيجة الحرب وأهلا بكم دائما جيران طيبون

جلست فتحية بجوار محسن وفتحت كتابها وكراستها وسألت محسن عن صحة ما كتبته في واجبها

ابتسم محسن وقال الواجب صحيح,

أنتي شاطرة يا فتحية

.....

لم تكن تتخيل ضحى أن محسن سيقضي معظم أيام أجازته بعيدة عنها . ففي كل يوم يأخذ طائرته الورقية بعد العصر وينطلق مع ثلاثة من أصدقائه في المدرسة الأعدادية ولا يعود إلا بعد دخول الليل وهي تجلس أمام البيت منتظرة حتى تنادي عليها أمها أكثر من مرة لتجلس بالداخل بجوار الشباك تنتظر أن تراه راكبا خلف أحد أصدقاءه على الدراجة وممسكا بطائرته .

ولكن في ذلك اليوم عاد سائرا على الأقدام وفي يده طائرته وفي الأخرى فتحية وهي تفتح ورقة بها ساندويتش وتقربه من فمه ليقضم الساندويتش مستمتعا والابتسامة تملئ وجهه

خرجت تجري حافية ووقفت أمام البيت تنظر بشراسة لهم . وتهز وسطها واضعة يدها عليه .

لم تعلق فتحية بل صعدت إلى شقتها تطير كحمامة فرغت من التزاوج تضرب الهواء بجناحيها وتدور حول زوجها في رقصات وتنفخ الهواء لتصدر هديل منظوم كالموسيقي .

نظرة بغير معنى من محسن

أهلا ضحى

نظرت إليه في معاتبة صريحة وغضب عارم

كانت الوحيدة في البيت التي لم تعرف أن والد محسن سينتقل إلى عنوان آخر في محطة الرمل بعد أن اتفق مع جارهم بالأعلى على افتتاح محل لبيع الخردوات بالمشاركة بينهم .

اقل من أسبوع وجلست أمام البيت تنتظر خروجه للجلوس جوارها إلا انه لم يفعل مرت عليها ساعات ولكن دون جدوى دقت على الباب لم يجب أحد

خرجت أمها تنادي عليها وبعد أن جلست أخبرتها

صدمت ورفضت الطعام والشراب والحياة .

داعبها الأب مستخدما علم النفس الذي يدرسه للطلبة ويعد فيه دكتوراه كاملة . اكتسبت الطفلة الحالمة المعاني العميقة للكلمات التي سمعتها من أفضل رجال الأرض كما كانت تتخيله في شكل محسن عندما كانا ينزويا لهوا إلى حديقة الزيتون القريبة من سكنهم بالإسماعيلية كانت تجعله يمشي مثل والدها ويرفع شعر رأسه مثل تسريحة والدها وتلبسه نظارتها ليكون صورة من والدها .. كانت تحتضنه وتجلس

في حضنه وتميل رأسها على صدره وتداعب ظهره بيديها وهو يلثم خدها الناعم بشفتيه وأحيانا كان يقلد قبلات الأفلام في التلفزيون ويتصور نفسه كمال الشناوي

لم ترفض له أبدأ طلب . كانت تزأر في وجه والدتها عندما ترفض طلبها بالخروج ومرافقة محسن .

لم تبحث عنه وتعمدت عدم السؤال عن أحواله حتى عندما زارهم والده بعد أكثر من سنة .

وقفت أمام المرآة ورأته من خلفها يتجسد شيطان طماع كما هم الإسرائيليون يريدون سرقة أرضنا وطردنا منها كما أخبرها مدرسيها في المدرسة الابتدائية في الإسماعيلية وها هو محسن سرق منها أجمل لحظات نحتت لنفسها خطوط في حياتها وأحلامها ..

لا يستحق أحد حبي

لن يسعدني أحد كما أسعده

سأكون جميلة دوما وسأسعد نفسي بنظرات الإعجاب من أشباه محسن وسأستقل بسعادتي الخاصة ولن تمر علي لحظة إلا وأنا سعيدة دوما .

هكذا خاطب ضحى عقلها الباطن في عمق أحلامها لتصحو وتستيقظ على أفكار تشكل وعيها الجديد .

٤

لقد أخذت قراري بعد أن فكرت طوال ثلاثة أيام كاملة لم انم فيها ولو دقيقة وأحدة سأذهب إلى مسقط رأسي سأذهب إلى العيش جوار إخوتي وأهلي سأعود إلى بيتي القديم .

- ونعم ما فكرت اليوم عاد أخر جزء كان محتلا من ارض سيناء عادت سيادتنا الكاملة على أرضنا ويجب على كل منا المشاركة في حماية تراب الوطن .

- عدنا ثانية إلى كلمة الوطن

- ماذا تقصد ؟ أليس وطننا ؟

- قلت لا ؟ ! كل الأرض هي وطني

- إذا كيف تريد أن تعود وتعيش وتختلط بها وأنت غير مقتنع أنها حق لك .

- بل كل الأرض هي حق لي وحق لكل إنسان .

- لقد احترت وتوقفت خلايا عقلي عن متابعتك لم أعد افهم ماذا تريد ؟ ماذا ترغب ؟

- أريد السعادة أريد الحياة

- أو لست سعيدا لعودتك للحياة بين اهلك وعشيرتك التي نبت منها في بداية حياتك

- نعم سعيد وقبل أن تشرق شمس اليوم الجديد سأكون أنا وأنت بينهم .

لم يعد هناك حاجة للجدال معه فيما أفكر فلن يستطيع الوصول إلى جزء من أحلامي وأهدافي لم أجد إلا أن أرد عليه بالإجابة التي يرغب في أن يسمعها وهكذا والدي وأمي وإخوتي وكل عشيرتي هناك .

تغيرت الأجواء وتبدلت الرائحة فبمجرد أن عبرت قناة السويس متجها إلى نجع أبو دبور شممت رائحة جديدة على انفي وتخيلت أشكال من نفوس البشر تطير أمامي نحو السماء ثم تعاود أدراجها إلى سطح الأرض وكلما اقتربت من بيتي القديم ازدادت الرائحة ما هذا ؟ لماذا لم أعد أحتمل ؟

لابد وأن أعود وأغير ما كنت قد خططت له ودفنته في أعماق أعماق خلايا عقلي بعيدا عن صديقي موروث ولكني قد وصلت فلو غيرت اتجاهي فمن المؤكد سأدخل في جدال لن ينتهي بالإفادة كما أني لن اخسر فرصة المحاولة من هنا فلأكمل طريقي إذا

تقبلني أبي وأمي وكل أصدقائي القدامى بمنتهي الفرح وأقمنا احتفال على طريقتنا ضاربين بالدفوف موجات وموجات من تقاسيم الطبل والرقص .

تعودت على الرائحة الجديدة علي

أصبحت اكره الرمال والصخور وهذا اللون المتحير ما بين الأبيض والأصفر ولكن بالليل وجدت متسعا لانهائي من الفكر وجلس بجواري موروث يحاول أن يستخرج مني إجابة للسؤال الذي شغله منذ أن وصلنا

وبعد أيام قليلة تسلمت عملي وكان على أن أسافر وأنتقل إلى مركز المدينة في وسط سيناء

وهناك تقابلت مع بعض أصدقاء طفولتي الذين تركتهم منذ أكثر من عشر سنوات هاربا وذاهبا للقاهرة .

اليوم هم يضحكون ويستمتعون ولديهم كل ما يرغبون من الملذات سيارات , أموال ,أسلحة , قوة .. كل شيء تعانوا مع إسرائيل ومدوها بمعلومات وأماكن ودروب داخل المكان الذي نشأنا فيه لم يكن يعرف في مصر كلها هذه المعلومات سوانا نحن فنحن ولدنا هنا وتعلمنا كيف يمكن العيش ما بين السماء ببعدها الشاهق عن رأسي وذرات الرمل الدقيقة التي تتطاير مع نسمات الهواء لتتجمع تحت عواصف كبيرة وتشكل تجمعات ضخمة من أبناء جنسها لتدفن فيما بينها ما تريد على وجه الأرض بلا رجعة أو هوادة أو فرصة بسيطة للتراجع .

وهؤلاء سيكونون المدخل لما أفكر فيه .

ولكن لابد وأن أحسب كل جملة كل كلمة تخرج من فمي حتى يسير كل شيء كما أسمع

فما أغبى هؤلاء البشر ومن يعرف نقطة الغباء لكل إنسان يستطيع السيطرة عليه دون أن يشعر ولو للحظة انه مسير ومسيطر عليه .

هؤلاء يبحثون عن عدة أمتار من الأرض يضحون من اجلها بآلاف من البشر والمعدات والتكاليف والأيام وهؤلاء يدافعون عن نفس تلك الأمتار أيضا بالرجال والدماء والمعدات والأيام القاحلة من عمر الزمن ويجب أن يكون لأمثالي أماكن يتواجدون فيها للحصول على السعادة الخالصة بكل معني لها في أي بقعة من بقاع الأرض .

بدأت أولا في عدم التحدث في أية أمور خارج نطاق العمل تعمدت أن أكون متعاليا عليهم غير مهتم بهم ثم يجب

علي أن أوضح أيضا لهم بشكل جلي وواضح تماما أني لا اهتم بأي شيء أو أي شخص فقط أقيم جلسات في منزلي القريب من مقر العمل استمتع فيها بكل شيء وأي شيء .

فعندما كنت في القاهرة وأنا ابن العاشرة وحتى بلغت الثانية العشرون بقيت اثني عشر عاما أري بعيني واسمع بأذني وأتلمس بيدي وبشعوري وبطموحي كل الملذات التي يعيشون فيها .

كنت أعيش في بدروم لا تتعدي مساحته الثمانون مترا مقسم إلى ثلاثة غرف ضيقة وحمام صغير بالكاد يستوعب من يستخدمه موصل بشكل مباشر إلى خط الصرف الصحي وما أكثرها الأيام التي تطفح فيها المياه لينفجر أبي جريا ويسد أي مخرج حتى لا تخرج المياه القذرة وتجرفنا معها إلى سواد وظلمات أيام الفقر وفي الأيام التي كانت تمر دون روائح كريهة كانت تشع رطوبة الحوائط المتساقطة أجزائها علينا وأنا أري في كل يوم قصور وفيلات وعمارات وشقق وحدائق ومداخل من الرخام وألوان تتداخل وتتعاشق لتكون لوحة من الجمال عندما يجلس الإنسان داخلها لدقائق يروح في طبقات النوم الهانئ الممتلئ بأجمل أنواع الأحلام .

كنت أحس في كل يوم في كل خطوة بسطح الأرض عندما أدوس على قدمي وأنا ادفع عربة الروبابكيا ساعات يكون أسفلت الشوارع بارد كالبحر عندما يتجمد وأخري يكون ملتهبا كما لو كان جزء من نار جهنم فيلسع جلد قدمي وأصابعي لتتكلس وتسود ألوانها وآخرين في مثل سني بل اصغر أيضا يلهون ويركبون دراجات ملونة وسيارات صغيرة في حدائق منزلهم حتى انه في يوم من الأيام عندما أعطانا أحد سكان الزمالك سيارة كانت لابنه الذي يصغرني بسنتين تقريبا لم يكن بها سوي ثلاث عجلات فقط فأحببت أن استأثر

بها لنفسي حتى اخرج وأفيض جزء من هم وغيرة وغل الفقر الذي تربي معي فرفض أبي بشدة ودون أية مناقشة بل انه أخذها وكانت أولي الأشياء التي اهتم ببيعها سريعا

كنا أحيانا نجمع الملابس أيضا وأغلبيتها كانت دون دفع أية نقود ولو حتى قروش وفي هذه الأيام التي كنا نعود فيها ومعنا بعض الملابس الملونة و المستخدمة لم يكن يسمح لي بالحصول على ما أسمع وكان دائما حظي أو نصيبي الملابس المتهتكة التي من الغالب لن تباع بمبالغ كبيرة وعندما صممت في يوم ما على أن احصل على بالطو لونه بني كان يحتاج لبعض الخياطات والتصليح بقص جزء منه من الأسفل .

تمسكت به كثيرا ولم اتركه وأحس أبي أني لن اتركه ومجمل خوفه كان أن اهرب من البيت ولا أعود مرة أخري وكم فكرت في أن افعلها واتركه بفقره وهمه لم اخف ولو للحظة من ما يمكن أن يحدث لي أو أتعرض له ولكني فكرت بأنه سيزداد فقرا وسيضطر لاستخدام إخوتي الصغار فكيف سيتحملون فانا أكبرهم ولم أتحمل .

في هذا اليوم ترك لي هذا البالطو ولم يعطيني المصروف الأسبوعي الذي كنت احصل عليه منه بعد عذاب السبعة أيام والعمل أكثر من أربعة عشر ساعة يوميا لم احزن كثيرا وكانت فرحتي بالبالطو اكبر من منع المصروف .

لم انسي ولن انسي في يوم ما ما دمت حيا تلك المشاهد المخزونة والمحفورة في الذاكرة .

أعطيته عذرا فقد هرب بي وبإخوتي من وسط الأرض التي كانت تموج في كل ليلة بالقذائف والمدافع وهول وأصوات الضرب من كل اتجاه ولكني لم أعطي العذر لمن

يحكمون ويتحكمون ومن قسموا الدنيا أجزاء وجعلوا داخل كل جزء من هذه الأجزاء عرق من البشر ينطوي على نفسه خائفا من عرق أخر في جزء آخر .

أما اليوم فأنا لا أعطي أية أعذار لأي شخص على وجه الدنيا في أي شيء وسأفعل ما أريد وما أسمع في أي وقت وبأي شكل ضاربا بالكلمات الرنانة للمبادئ والعادات والتقاليد عرض حائط الفقر القميء المذل الطويل طول العمر لمن رضي به وسكت وأنتظر الموت أن يقتنصه سهلا وبسيطا .

وجد الأصدقاء ملاذا مجهزا في بيتي كانوا يهربون من نظرات باقي الأهل في النجع وباقي النجوع فقد كان معظم الناس يخافونهم والقليل يستحقرونهم ولم يسعدوا كثيرا كما رأيت إلا بمن يخافونهم فكانوا يتجمعون دائما ويتلاشون في داخل طيات الرمال ليقيمون جلسات يستمتعون فيها بكل المتع التي يمكنهم الحصول عليها .

كانوا يحضرون نساء مثل السبايا أو العبيد من الدول الإفريقية ويستخدمونهم في كل استخدام وأي استخدام فالجميلة والصحيحة من بينهم كانت لزوم النزوات الجنسية العابرة والغير عابرة في كل ليلة ومن تقل عنهم في الجمال أو الصحة كانت تقوم بالخدمة دائما وعندما كان يأتي فوج أخر من جديد كانوا يدخلون القدامى معهم إلى إسرائيل ليعملون عمال عبيد أيضا ثم يستمتعون بالجدد وكانت لديهم افخر وأغلى أنواع الخمور والمكيفات المعروفة والمستحدثة حتى أنهم كانوا يملكون تركيبات كيمائية لأقراص تشبه أقراص الدواء من يضعها في فمه لدقائق بسيطة يذهب إلى أبعد و واكبر طرقات السعادة الخالية من أية أفكار أو منغصات مهما كانت بسيطة ولكم أعجبت كثيرا بهذه الأقراص كانت تعطيني الإحساس باني طائرا ضخما شفافا يستطيع طي الدنيا تحت

أجنحته أرى كل الدنيا في لحظات واستقبل كل الألوان في عيني في جزء من الثانية فقد رأيت أجمل تشكيلات من الألوان التي لن أستطيع مهما حاولت أن أصفها فهي ألوان لا توصف فقط وتشاهد وتحس ولا يعبر عنها لا باسم ولا بمعنى .

وفي وسط كل هذه المتعة التي كنت تواق لها فكرت ثواني هذا كلام موروث الآن أنا اشعر بالسعادة الغامرة .

حولي أكثر من عشرة نساء مختلفات الأشكال والأحجام وكلهن عرايا تماما حتى أستطيع الاستمتاع بما أسمع وبين يدي كل أنواع الكيوف التي تذهب بي إلى أي مكان أسمع فيه دون إذن من أحد ولكن ينقصني القوة والسيطرة على امتلاك هذه المتعة طوال حياتي .

إذا ما كنت أفكر فيه صحيح أكثر من مائة بالمائة وهنا بداية طريق هكذا تأكدت أن أفكاري يمكن تحقيقها .

٥

بقيت على موقفي ما يقرب ثلاثة شهور ولم اخرج حرفا وأحدا من فمي إليهم التزمت بان أكون مستمتعا ومشاركا لكل هذا فقط وهم أيضا وجدوا صديق الطفولة فيه فكر وذكاء سأعدهم كثيرا على التخطيط لكيفية الحصول على أفضل النتائج من صناعة المخدرات والمكيفات وتمريرها دون مشاكل وكان الفضل كله لصديقي موروث ذو العقل الجهنمي الرهيب فقد كان يرسم لهم الخرائط كما لو كان يعرف ما يدور في نفوس أفراد الأمن بل اتسع حجم موهبته إلى فهم ماذا يريد مرتادين الكيف والمزاج حتى يكونون دائما مستعدين لجني اكبر قدر من الربح أما الاتجار في البشر نفسه فقد كانت هذه متعتي أنا الشخصية .

أتلذذ بها واستمتع في كل ثانية وبعد أن خططت ودبرت في سياق حديثي معهم لأكثر من رحلة تهريب اقتنعوا تماما ودون وعي أني أذكى منهم ورؤيتي تتفوق بكل معنى على رؤيتهم القاصرة على المتعة المسروقة من خلف ظهر المحيطين بهم .

أطلقت موهبتي الجوعى لتنظيم وترتيب ارتشاف سعادة ومتعة وروعة الإحساس في الاتجار في البشر فهم درجات وأنا سأكون المنظم لهذه الدرجات .

ملت كل حواسي وتحديدا عيني من رؤية اللون البني والأسود في جلود البشر وأحببت أن أنوع الألوان قبل أن تمل غريزتي المتعة كلها فوسعت الآفاق إلى باقي النطاقات

الجغرافية المحيطة فلونت النساء بأكثر من سبعة أشكال من حولي وجعلت في كل يوم لون معين يخدمني ولون آخر يمتعني .

وكانت أكثر ميزة في إخضاع البشر أنهم يفهمون ويتكلمون فيأتون بأشياء تزيد سعادتي وإحساسي بالتملك والسيطرة وبدأت من هنا إشباع كل رغبة لي في الصعود أعلى سحب السعادة الأرضية المعروفة بين البشر .

حدثني صديقي موروث قائلا أن ما اشعر به من لذة يسميه البشر سادية أي انه مرض نفسي وقبل أن يعكر صفوة متعتي قذفته بما كان في يدي ليصمت قائلا .

لماذا تبحث عن التسميات البشرية التي أطلقها مجموعة من البشر لا يعرفون ماهية السعادة الحقيقية كما انك ترتشف كل قطرة تتاح لك من قطرات المتعة والتلذذ فكم من المرات أراك وأنت تخرج كل طاقة لك لتبتلع كل ذرة من ذرات التملك والسيطرة ألم تشعر بالسعادة ؟

ألم تحاول إطالة الزمن وأنت في وسط قوتك وتمكنك من إخضاع أنثي جميلة ممتلئة وبياض بشرتها الناصع يتداخل مع طراوة أفخاذها وثدييها وعندما فقدت وعيها لم تتقبل وبقيت تكيل العلامات بكرباجي الخاص على جسدها حتى جعلتها سمراء مثل من يعملون في الخدمة .

لم اسمع ولا حتى صوت أنفاسه تدخل وتخرج من صدره

صمت تام

وبعد اشهر قليلة كان قد بدأ الملل يحاول التسرب بهدوء إلى قلبي وأيامي ففكرت قليلا لأخرج بفكرة تضغط على عقولهم لكي يطلبون هم منى أن اصل إلى ما أسمع

جمعتهم ذات ليلة وقلت لهم

أني قد مللت تماما ولم أعد أسمع في إكمال هذا الدور بينكم كنت أعرف تماما أنهم سيصعقون من كلماتي فقد زادت غنائمهم ومكاسبهم في شهور قليلة إلى أكثر من سبعة أضعاف ما كانوا يكسبونه قبل ذلك ومن هنا وجدتهم يطلبون منى تحديد موعد للتناقش فيما قلت

اخترت أنا أن نقيم حفلة شواء ماجنة في أعماق الصحراء وبعيدا عن اى مخلوق حتى الثعابين لم تكن تسكن في المكان الذي اخترته فقد كان قاحلا تماما عندما تكون في وسطه تحس وكأنك غادرت الدنيا كلها وتعيش في غياهب الأحلام وأنت نائم بفعل مخدر يدوم لأيام

صممت برنامج الحفلة وأخذنا أكثر من عشرون بنت مختلفات الأحجام والألوان والتقاطيع وكلهن عرايا تماما وجعلتهم ينتظمون في شكل دائرة حول مكان جلوسنا ثم أشعلنا النار وعلقت إناء صغير من الألمونيوم القوي به تركيبة من مختلف أنواع المخدرات الغربية والشرقية والتي كانت تعطي من يستنشق منها ذرات شعور بتملك الدنيا كلها

وفي خضم طيراننا جميعا إلى فضاء السعادة والذوبان بين الهواء وأشعة الشمس وجدتهم يطلبون مني أن أقابل جنرال إسرائيلي لكي أكون أنا رئيس وحدتهم ومدبر حالها فهذا الجنرال طلب منهم أن يقابلني منذ مدة ولكنهم كانوا يؤجلون الموعد خوفا من رفضي فحتى الآن ورغم تأكدهم من كوني لا ابحث ولا اهتم إلا بسعادتي الخاصة على طريقتي إلا أنهم كانوا كثيري القلق من صديقي العزيز موروث

وجاءت لحظة التفكير الأساسية في بداية تنفيذ مخططي الخاص لو وافقت سريعا وبشكل مباشر سأفتح لهم منفذا للقلق

والتفكير ولو رفضت مباشرة وبشكل واضح أيضا سيخافون على ما وصلوا له وفي الغالب سيكون الموت مصيري فكان لزاما علي أن أرد بشكل معين حتى اضمن أن تكون ردود الأفعال كما أريد وفي صالح مشواري

طلبت وقتا للتفكير وأنا غير رافض للمبدأ الحوا كثيرا حتى أعطيهم ردا واضحا لم أريحهم أبدأ بل صممت على موقفي وطلبت ثلاثة أيام أفكر وادرس هذه الحركة وكيفية الإقدام عليها وتعمدت فيما بعد عدم الاتصال بأي منهم أو حتى محاولة الالتقاء بهم ولو صدفة

لم اذهب إلي عملي وافتعلت أجازة مرضية وجلست الثلاثة أيام كاملة اخطط وارسم وأسجل وأدون أفكاري وخطواتي وكلما وصلت لنهاية خطوة منهم أسرعت بإحراق الأوراق حتى لا يستطيع صديقي موروث أن يسجل أو يفهم ماذا اعني بكلماتي وبعد ثلاثة أيام كما وعدتهم أعطيتهم ردي بالموافقة على أن أحدد أنا موعد ذهابي لمقابلة الجنرال وفي بداية الأمر رفض هو ذلك واستنكر عليهم كلماتي فصممت أكثر على طلبي

وهذا الطلب لم يكن أكثر من مجرد إضافة لكياني الكامل منذ أول لقاء حتى يعرف قيمتي ويتعامل معي بشكل أسمى من أي شخص وهذا ما وجدته عندما ذهبت إليه وتقابلنا

تناقشنا في أمور كثيرة تهم شخصينا وكان ملخص فكري أنا أن احصل على سعادتي في تمضية حياتي القصيرة كما أريد وبدون رفض ,

لم يرفض أو حتى يعيد الكلمات علي

فهذا الطلب كان أسهل طلب يمكنهم تحقيقيه

وكان طلبه هو مده بمعلومات كاملة ومتصلة وبشكل متواصل ومتتابع عن حالة الشعب المصري نفسه

في ماذا يفكر ؟

وما هو الشيء الذي يسعده ؟

ماذا يكره أو يدور في مخيلته ؟

ما هو تأثير الفقر على العقول ؟ والى أين توجهه ؟

هل يهم المواطن المصري العادي جدا الأمور السياسية ؟

ماذا تمثل ارض سيناء لغالبية الشعب ؟

وكان دائما أهم وأعمق سؤال هل يرغب المواطن العادي في العيش بترف وبشكل كريم دون سيناء أم يمكنه تحمل الفقر على أن لا يتخلى عنها ؟

مهمتي هذه كانت حقيرة تماما في نظري فقد رأيتها صغيرة وبسيطة ومملة يستطيع اغبي شخص أن يقوم بها بمجرد الاحتكاك بالمطاعم والقهاوي و المواصلات العامة وأماكن تجمع الناس

قبلت بها مؤقتا وبعد حوالي ما يقرب السنة طلبت أن أتوقف عنها تماما فكل الأموال التي تصلني منهم لم تعد تسعدني فهي لا تفعل سوي أشياء ثابتة في كل مرة

تم تهديدي بالقتل وقبل أن يكمل الجنرال تهديده الهادئ والبارد قلت له ..

لا يهمني القتل أو الموت فانا مستعد له ولكني لن اسلم نفسي له بهدوء فإذا أرادني فعليه أن يقاتلني ولنري من فينا سيتغلب على الآخر ؟

فانا لا يعنيني رتبتك ولا رؤسائك ولا كل دولتكم الفاشية الكيان والتخطيط ولا يهمني كل أحبال المشانق منذ اخترعها الإنسان ليقتل الإنسان على وجه الأرض التي تتسع لمليارات أخرى غيركم .. ولا يدخل على عقلي هويتكم الدينية الملعوب في كلماتها من بعض المخنثين فكريا وتاريخيا .. ربما تكون السعادة في الموت والأنتقال من جسد وروح وكيان حي إلى روح فقط تطوف وتطير إلى أبعد ما يتصور العقل البشري .. رأيت بعقلي ما لم تتخيله أنت طفت بروحي مرات كثيرة فاردا جناحي على صحراء شاسعة أكلت في بطنها الآلاف من أمثالك وإذا ما حاولت عبور هذا السرداب مرة أخرى سأشعل بيتك في عمق دولتك لتذوب أجزاءك كما تذوب الزبد عندما تراها شمسنا وسأبحث عن أخر طفل ينتمي لعائلتك وسأصنع من جلده زيت المع به حذائي .. أنا أعلى منكم جميعا وارفع قيمة من كل إنسان لا يعرف قيمته كانسان ..

- سأتركك عدة أسابيع لتستريح ولنا لقاء آخر نتحدث فيه عن مشروعات ربما تعجبك
- فليكن

احتجت إلى تنقية أفكاري وعقلي
احتجت إلى الانفصال عن كل ملوث بشري
احتجت إلى الاختلاء بذاتي الخاصة
احتجت إلى الارتقاء

٦

تقف أمام حديقة كبيرة لأشجار زيتون بعضها وارف الخضرة والبعض الأخر متكسرة أغصانه وتميل لتلامس الأرض في وداعة من فارق الحياة طلبا للأبدية .

وترى من بين ظلال الأشجار خيالات لطفلين يلعبان سويا ونسيم عليل يداعب طرف فستان الطفلة ويتموج متلفحا رجل الطفل الواقف إلى جوارها ناظرين لغروب الشمس وهي تلتصق وتندمج مع كسبان رملية كستها ذهبية أشعتها وعكست ظلال متكسرة لتباب مشكلة خيالات لأحباء يحتضنون بعضهم ومتناسين الدنيا من حولهم .

ذلك كان أخر مشهد لها مع محسن قبل رحيلهم من هنا منذ خمس سنوات تنسمت الدنيا في عبق نسيم صافى جاء من مياه القناة مختلطا بطهارة رياح الصحراء ليدغدغ الأحاسيس بالشعور بسعادة مطلقة فيها استعادة النفس الأولى بنقائها وعذوبتها وطفولتها اليانعة

تقف اليوم وهي ترتدي ميني جيب وبادي وقد أطلقت العنان لشعرها الأسود في قصة تلائم روح العصر عصر الانفتاح الكلي على سماوات الأمل واستشعار المستقبل بعد عذاب وشتات الأيام.

تشعر بالقوة الداخلية لانطلاقها بعد أن تسببت في رفد مدير المدرسة الثانوية بكوم الدكة ومعه خمسة طلاب من الذكور والذين حاولوا إفضاء شهواتهم الحيوانية على مؤخرتها عندما أغلقوا باب الفصل عليها وصرخت بأعلى صوت وأصابعهم تترك سياط على فخذيها .

لـم تنهـار وتسـقط بـل وقفـت جـوار مدرسـتها وحاضـنتها الفكرية مدرسة علم النفس يكيلون الألفاظ لخمسة حيوانات .

ولكن المدير صاحب النظارة الغليظة والبذلة الصوف ذات الأقلام الزرقاء ألقى في وجههم بتمسكه الأعمى بالفارق بين الأنثى والذكر والذي نتج من ترقية أحدى زميلاته بالجامعة بمركز أعلى منه ورفض اتخاذ الإجراءات المنصوص عليها واكتفى بالتوبيخ اللفظي .

ولـم يكـن يعـرف أن تلـك الأنثـى الصـغيرة ثـائرة الأفكـار والتضـاريس الأنثويـة هـي مـن سـيطرت علـى عقلهـا وقلبهـا ودفعت كل هرمونات الأنوثة للظهور لتسبق كل زميلاتها من جيلها في العقل والفكر والجسد لأنها تخلصت من تبعية الرجل وتحاول اجتياز البلوغ الفكري والجسدي دون الانـزواء خلف غريزة يبرزها البعض بشكلها الحيواني دون تهذيب إنساني مكرم

لم تخف بل ذهبت إلى والدها ومعها مدرستها ورأى بعينه أشكال الأنتهاك على وجهها وفخذيها .

وتحركت الدنيا في شكل قضية تطالب بحفظ حقوق أنثى تبحث عن حريتها في مجتمع يبحث هو الآخر عن انفتاحه وحريته .

وجاءت المطالبات بالتراجع عن القضية وسيتم عقاب المخطئ

أكملت تعليمها الثانوي في مسقط رأسها وقضت كل أجازتها تقرأ وتنهل ما بقى من كتب في مكتبة أبيها حول علم النفس بكل مناحيه وأصبحت دكتورة دون شهادة في علم النفس . كانت تقضي أيامها في الإسكندرية مع والدها في

نقاش مستمر ومسترسل في نظريات علم النفس وكان هو كلما تحدثت شعر بالسعادة الغامرة لاستواء عقل ابنته التي مازال يراها وهي تبكي أثناء نومها يوم غادر محسن .

درست إدارة الأعمال وتخرجت بتفوق ولم تقبل بكل الوظائف الروتينية التي عرضت عليها وانضمت لجمعية نسائية في الإسكندرية تبحث عن حقوق المرأة وتمكينها في المجتمع .

أعجبت كثيرا ببعض الأعضاء من أبناء الطبقة الأرستقراطية واللاتي تعلمن في الداخل بمدارس الليسيه وفي الخارج بالسوربون .. متحررات باحثات عن سعادة كاملة لديهن المال والجمال وأيضا النسب والدرجة العلمية إلا أنهن يرفضن الأسلوب التقليدي في حياة المرأة الشرقية .

فرضت فكرها وعقلها وقوتها الكامنة خلف ملامحها المصرية السمراء وخلقت لنفسها مكان في عقولهن وجلساتهن وتناقشهن

اختيرت بعد شهور لتكون شعلة ومقدمة المؤتمر الدولي الذي تعده الجمعية ويحضره الكثير من أعضاء الجمعيات الدولية فبعد التطبيع ما بين الدولتين فتحت الآفاق مرة أخرى لكل الثقافة الأوروبية والأمريكية بدفع من الجمعيات الممولة سرا من إسرائيل لدخول مصر من جانبها الثقافي والاقتصادي بعد توقيع معاهدة تنهي صراع عسكري دام سنوات طوال خسر فيه الطرفين الكثير من الأرواح والعقول والأفكار .

دعيت للقاء على مستوى راقي لمشاهير الفكر من معظم دول العالم ودار نقاش كبير ما بين أصحاب الفكر والأيدلوجيات الفكرية المشهورة .

ذهلت بما تسمعه منهن فقد كانت تسمع ما يدور في فكرها منذ سنوات طويلة ورغم قوتها وإصرارها المستميت والمدعم بحب واقتناع والدها وسبب وجودها في الدنيا إلا أنها كانت تؤجل الإعلان بشكل كامل عن فكرها ومذهبها كأنثى في مجتمع منغلق الفكر ومتوجس من كل جديد يبحث دائما عن الأفكار التقليدية منعا للدخول في مواجهات فكرية وحركات تحررية تصبو إلى تطور المجتمع وانفتاح الأفق الفلسفي على كل جزء في حياة الإنسان .

صمت الجميع وتركزت الأعين عندما تحدثت سيمون دي بوفوار الفيلسوفة الفرنسية الشهيرة ورفيقة سارتر الروحية فكريا ومجتمعيا .

تكلمت عن وجود الإنسان في الحياة واختلاطه بها وكيف يعيش الإنسان سعيدا بعيدا عن منغصات تصب فكره في قوالب مصمتة موجة لطريق ما بفعل يد الحاكم أو المسئول أو المهيمن في الوقت الذي فيه يعد فكر الإنسان وعقله بحر هائل من الاتساع لا يمكن الوصول إلى ماهيته فلكل إنسان واعي بحر يعيش فيه وحده يكيف ظروفه وطقوسه كيفما يشأ ويأخذ من الحياة ويعطيها كيفما يشأ دون تقيد بفكر أو اتجاه أو إيديولوجية معينة وقالت أن سارتر كان يرفض دائما التكريم لأنتاجه الفكري ورفض أيضا اشهر جائزة دولية وهي جائزة نوبل رافضا بذلك تحجيم فكره وأفكاره وتوجهه على عدة عقول تقيمه وتعطيه تكريم من نوع ما فقد كان يرى أن الفكر حر ومفتوح ومتوفر لكل إنسان دون عناء أو مجهود أو ثمن وبالتالي لا يمكن تحجيمه بسعر أو قيمة مادية معينة

وهنا وقفت ضحى وصاحت لا افهم ؟

اعتقد تماما أن لكل إنسان فكر هو حر في تطبيقه أو تطويره أو العمل والحياة من خلاله ولكن بكلماتك تلك تطلبين منا إتباع أيدلوجيتك الفكرية وهو ضد جوهر التحرر الفكري في حد ذاته .

هاجت القاعة وملئت بالأقاويل والأصوات وطلبت السيدة سيمون من الحضور الهدوء والالتزام بقواعد النقاش الهادف ثم قالت ...

ألا تعلمين يا آنستي أن سارتر رفض نوبل وكل التكريمات المادية وقبل فقط لقب شرفي من الدكتور هونوريس كوزا من جامعة اورشليم لاقتناعه بلجوء الفلسطينيون للإرهاب نتيجة الأحوال المعيشية السيئة التي يعيشونها مع اعترافه بدولة إسرائيل أي انه كان يؤيد السلام الروحي بداخل الإنسان في أي مكان وان الأرض كلها مشاع للبشرية ومن اخترع الحدود بين الناس والأعراق كان يبحث لنفسه عن أطماع من ذلك ولو نظرنا بعين محايدة سنجد نصف الكرة الأرضية خاوي وخالي من السكان وفي النصف الآخر يتقاتل الجميع بدوافع الطمع وحيازة الأرض مستغلين أفكار دينية تخضع الإنسان لرغباتهم لإلغاء عقولهم المنطقية وليست كلماتي معناها تحييد عقولكم لأفكارنا بل إيضاح ما نسمو إليه ولك مطلق الحرية في تطوير الأفكار والسباحة بها في فضاء الدنيا كلها .

٧

- إلى أين نذهب في هذا الطريق الوعر ؟
- قلت لك اصمت تماما

ثلاثة ساعات من السير بسيارة ضخمة ثم الانزواء في طريق فرعي خلفي في قلب الصحراء ثم ترك السيارة والأنتقال لقافلة مكونة من ثلاثة جمال وصعودا سيرا على الأقدام إلى أعلى نقطة يعرفها إنسان .. إلى قمة جبل الطور ..

- لماذا جئت بنا إلى هنا ؟
- جئت إلى هنا أولا لقتلك وتخليص روحي منك
- جئت إلى هنا لتطهير ذاتي من منغصات ونصائح مادية بشرية
- جئت إلى هنا من اجل الارتقاء
- ها ها ها
- ما هذا الصوت .؟ هل هذا صوتك ؟ من هنا ؟ من هناك؟
- ليس هناك أحد إلا أنا وأنت
- إذا لماذا تضخم صوتك والى أين ذهبت ؟
- هل كنت تتخيل انه في يوم من الأيام ستستطيع أن تتخلى عني ؟ هل كنت تتخيل أنه بإمكانك أن تقضي علي ؟ ها ها ها

- نعم أستطيع لقد قهرت كل الخوف وقهرت كل شيء في سبيل سعادتي في سبيل حلمي بالارتقاء أعلى من البشر .

- أنا من صور لك ذلك .. أنا من أوحى لك بذلك أنسيت عندما كنت تجلس بالساعات محدقا في مالا نهاية عند وادي الطور وعيناك ثابتة ما بين صفرة وزرقة لمياه لا تتحرك .. هل كنت تتخيل وأنت طفل صغير ضئيل الحجم لمجرد انك تملك حلم ما بالتطور ستكون لك ملكة تحقق بها ما تريد.

- إذا من أنت .. من أين جئت

- لن تراني بعينيك ثانية ولا تسمع مني صوت وما دمت قد رغبت في الانفصال فها أنت في قمة الجبل لا يحتويك إلا السماء والهواء حتى الحشرات لا تجرؤ على الصعود إلى هنا .. كن كما تريد أو كن كما أريد .

بقيت وأحد وعشرون يوما كاملا قابعا في جرف صغير منحوت في عظام الجبل ارتشف مياه الأمطار وأتدثر بفكري وعقلي قبل غطائي . في كل يوم ومع كل شمس تغرب وتشرق أرى الدنيا كلها من هنا أرى تاريخ سحيق أرى روحي تطير ما بين أزمان وأزمان تشكلت وتلونت وتنوعت ما بين جرذ قذر ودياصور ضخم ومفترس أشم رائحة الماء وأنا أتذوقه بخرطومي الطويل المتدلي من رأسي ثم أطير راكبا حصان عربيا بارزا سيفي الطويل وأحصد به رقاب كثرت وقلت صغرت وطالت تلونت ما بين الأبيض والبني والأسود ثم أراني اهتف في حشد كبير يبلغ الآلاف منتظرين إشارة يدي وفمي لحصاد أرواح ضاقت بها الدنيا وأصبحت عالة على كل إنسان.. أرى زلزال كبير ضرب تلك الأرض وهزها وفتت حجارتها الضخمة ليفصل ببوابة من صلد الحجارة ما بين عالمين مختلفين خلقوا لنفس المهمة وسيروا

لأدائها ولكن لا يجب أن يختلطا وممنوع على الكل التداخل ولو حتى بجزء .. ولكن الطبائع غالبة والطمع في النفوس مزروع وموروث وموروث ليس منهم بل مني فهو حتى لو رفض وهرب فهو جزء مني ربما يملك بعض ميزاتهم إلا أنه جزء مني .

أرى نفسي طامعا وباحثا منذ آلاف السنين عن سعادة لم يحوزها أحد .. قائد وعزيز اجلس في وسط مجلس من الكبار والطوال بألوانهم الحمر والأزرق .. اختار أجمل ما كان منهم واخذ كل ما أريد دون تردد ثم أراني طائفا عاليا .. والصخور تتكسر وتتشكل مثل طين لزج لتقسم الوادي شقين بالمناصفة الأصفر كان في الأعلى وما غيره من ألوان نزل وانزوى للأسفل ثم مياه تفور وتموج فوق سد منيع يمنع الاختلاط فيما بينهم ورسائل بمزمار رنان تتردد في الهواء تلف في موجات حائرة على كل أذن لإنسان ثم تعود إلى مستقرها بالأسفل ..

لم أعلم هل هذا أنا أم أشبهه .. إذا لماذا الحنين لصوت فيل يترنح عند خروج روحه وطيرانها أم أن عنفوان سبعا قاتلا في زئيره جذب قلبي لحبي للتملك .. حتى الجرذ وهو ينقلب على ظهره ماجت دموعي على موته ..

خلصت لنفسي وعرفت شيء واحدا ما بين طرفة أو إغماض لعيون تكون بحور ومراكب لمن يريد أن يعبر ولكن عليه العودة دائما فالانفصال معناه الاختيار فقط .

ولكني استأثرت أن أكون مثل من تم اختياره كما أني رأيت فرعون يتمايل وتضمحل روحه .

مع شروق اليوم الأخير كان لابد لي من النزول ومواصلة رحلتي .

- وهل كنت تتخيل انك من الممكن أن تتراجع فقد سوقتك إلى ما أنت عليه .

- ها قد عدت وظهرت نواجذك السوداء بداية من فمك طوال سنين وكنت اشك انه هو أنت من زارني أول مرة شيخا كبيرا وطويلا عندما كنت لا أعرف من أين تنتهي الدنيا .

- بل أنا أيضا من داومت على زيارتك عشرات من السنين ومئات أجاورك بل آلاف كنت فيها ذات مرة نمرا مرقطا طاردتك أمامي واستمتعت وقلبك ينتفض ثم حميت اندفاعك للتقوقع داخل شرنقة من أغلال العشق والسهد المسترسل .

- أه لو تملكت عليك قبضتي لعصرت رقبتك حتى تفرم كحبات رمل أمام ريح هائج من غضب .. أتقول لي أنك من قتلتها ؟

- لم اقتلها فلو كنت بصيرا لعرفت جيدا أني لا املك من القتل شيئا إنما فقط أحرك أفكارا تلف وتدور هائمة .. هي من حلمت أن تهرب بعيدا عن الأغنام ولمبات من الزيت تشتعل ومئزر خشن وبرقع اسود يلف أنفاسها لتشتم انفها رائحة البشر .. هي من طلبت الهرب .. هي من طلبت الاستمتاع ولكنها كانت اقرب لمتعتها من خيالاتك الواسعة .. فالسماء بعيدة كل البعد عن طول أحلامك يا غبي أو كنت تظن أن ما تراه بعينك هو كل الواقع وانكشف بل هناك مئات الستائر مازالت مسدلة وإذا ما حاولت النظر من خلالها فلتلتهب عيناك قيظ ورماد .

- أين ذهبت بها أخبرني و إلا لن أسلم إلا بعد أن أفتت أجزاءك وأشتت موجاتك المتجسدة دائما والحائرة في البحث عن ملاذ امن .. لن أمكنك في يوم من العبور إلى بر تبحث

عنه منذ آلاف السنين فكما رأيت نفسي رأيتك أيضا وعرفت قبل أن تتفوه انك كنت ذئبا وأسد وقرد وقرشا خرج من تحت المياه داعيا للظلم والتجبر ولكن هيهات ما بين أغبياء تبعوك وراحت من بيد أيديهم روحهم وبقيت فقط فتات في الريان متجسدة كشخوص ومساخيط تنتظر ربما ملايين السنين حتى تعود وتستطيع الإبحار تحت مياه لم تعد لهم .

- لا تستطيع فعل شيء بي بل من دوني ستكون دائما

- بل أستطيع إذا ما تحرك لساني ببضعة أحرف وعين ترقب تموجاتك الهاربة .. هل تتخيل انك ما كان يسيطر ويرسم ويخطط .. لا بل كنت أنا دائما .. فحتى الآن أنت لا تعلم انك أعمى لا تدرك إلا في برزخ من الأحلام فقط أما كل فعل فيأتي مني أنا وعليه كنت تحلل كل ما ورد لترسم لي ما أريده دائما . وما أريده جاء مما رأيته قبل أن تدرك .. فلتقل و إلا سأحرق ما بقى منك لتسكن غياهب العذاب في أوصالك وتعود منكسا إليهم بالأسفل عبدا وخادما .

- تسكن دار ممتدة من استخلاص العقول في مياه عميقة أسفل البحر لدى أحباءك الآن تفيدهم ويفيدونها فكل متعتها منذ وعت كانت تطاير الأحلام في عقلها .. وها هم يعطونها ما تتلذذ به دائما ومن غير وعي تخبرهم أحيانا بما يرغبون معتمدة في تخيلاتها على أحلام رسمها طفل مريض هو أنت .

- أرني مكانها واجري وابحث لنفسك عن ملاذ من غضب يشب في كل وقت داخل عروقي ونبضي .

لم أجد إلا جمل وأحد جاء في موعده ككل يوم كما اعتادت رجلاه دائما يرتشف قطرات نزلت من فوق في حيد صغير بجوار منبت الجبل .. امتطيته تاركا كل شيء خلفي

وقلت له بهمسي اذهب بي كي اغتسل واطهر روحي استعدادا للتتويج .

نزل جريا إلى بحيرة سطحها للأمنيات تلقى بالحجارة والذهب ويغتسل الأطفال السقم دائما ... أما القاع كان سدا غليظا من صخر حرقت بنار لم يرها أحد ثم جيب من مياه اشتدت زرقتها وتمنعت عن الأسود يليها قعر اسود جاءت صخوره محروقة منذ الأبد واغتسالي لابد وان يكون طهورا من كل مادية زائفة فدرجات القلب والعقل بين البشر أما أنا فلابد أن ارتقي .

قذف بي الجمل عند القاع وهرب ينفض عن وبره مياه ثقيلة عالقة ولو أنتظر بضع هفوات لسقط .

ثم بقيت ساعات في جيب ما بين صخر وماء دافئ وهواء ينفث من الأسفل للأعلى ارتشف منه نسمات تطهر القلب وما بداخل الجسد .

- هل كنت تتخيل انه بمثل تلك البساطة ترتقي غسولا من ماء مختفي وهواء نابت من أشجار غرزت قديما واكل منها من هو اشرف منك باعا وطولا وعلما .

- فلتختر يا موروث ما تشاء من تفسير ولكن إذا ما تعديت الالفا فسأحكم عليك بالبقاء دائما في الزيتا .

- ها ها ها وهل كنت تتخيل أن فهمك الضعيف لطبقات الوعي تحكم على ترددات بالبقاء حائرا لا بل في أي مكان كنت تستدعيني أتي جريا مهرولا ولم يمنعني في يوم شمس ولا قمر ولا حتى تراكب نجم على نجم في سداسية معقدة دامت سنين فانا أقوى مما كنت دائما وحاضرا كل الأزمان ولكن عيناك عمياء لا ترى فالرؤية ليست فقط لخارج الجسد .

.....

الآن أرى نفسي جاهزا ومعدا لما أنتويت اقتناصه من دنيا يعيش فيه بشر ليسوا أقوياء أبعد من ألسنتهم .

٨

- لماذا هذا المكان يا وراث .. ؟

- هنا الرؤيا تكون واضحة وتلك الصخور من حولنا تمنع حتى البرق من الوصول إلى مكاننا أم أنك تخاف أيها الجنرال كما أرى .

- تطلب السعادة كما نرى ونحن لدينا طبقات من السعادة مكفولة ومجمعة فلتطلب ما تريد ولنرى

- سعادتي في الدنيا الإحساس بها في داخلي ولست تستطيع أنت أو أمثالك ألف الشعور بها أو معرفة ما هي

- هي المال .. هي الجمال ... هي النساء .. هي القوة بإزهاق أرواح لم يكن من المفروض خروجها على وجه الأرض بل كان عليها أن تبقى سابحة تحت ملايين الأطنان من مياه سوداء مظلمة

- هي لدي أعلى من كل ذلك هي السباحة في فضاء الكون الفسيح وارتشاف ما أرى طبقا لكل وقت في حينها , سعادتي أعلى من ملذاتك الدنيوية المهترئة تلك

- إذا فلنرى ؟؟ تريد أن تكون حاكما وطائرا سابحا ومحلقا في كل وقت ودائما

- نعم نستطيع تحقيق ذلك .. تلك خرائط وبرديات مر عليها آلاف من السنين وكانت محفوظة في ما يشبه الدير منحوت في قلب الجبل في مكان لا يبعد عنا هنا بضعة

كيلومترات ولكن كل تلك البرديات صنعت من جلود وأخشاب وختمت كلها باسم لم نعرف من هو في أخرها دللت على ألواح نبحث عنها دائما توصف لنا الحياة والممات

- وماذا تقول تلك البرديات ؟

- توضح بشكل جلي خطوط مدفونة في عمق الأرض لمياه عذبة اندفعت في يوم ثم اندثرت وتقلصت لتبقى في مكانها لها منافذ وعيون من أماكن محددة تحدد شكل نجمتنا بدقة متناهية .. ثم نقاط سوداء تحدد خير وفير في بطون الجبال كلها من ذهب وفضة وحديد ونحاس وأملاح كثيرة بها يطغى الإنسان وتفور القوة لقرون دون أن يشعر بزمن واخطر ما تقوله منافذ مغلقة لبوابات عوالم أخرى إذا ما استطاع أحد الاتصال بها لحكم وطغى كما يرغب .

- إذا ..؟

- إذا أنت الحاكم الجديد لبقعة من أقدم وأشرف وأغنى بقاع الدنيا بها أسرار وغموض إذا ما فتحت بابه لكانت لك كل سعادة تطلبها بنهم

- وماذا ستستفيدون .؟

- أن تكون حليفنا .. فنحن نبحث عن خلاصنا من آلاف السنين بحثا عن رقي وسمو كما تفعل أنت

- ولكنك نسيت أني أصلا ارفض فكرة أن يكون لمجموعة من البشر مكان محدد ويسمون أنفسهم بناء على العرق أو الدين أو اللون أو الشكل ربما أوافق أن تكون هناك حدود لضمان راحة وخصوصية الإنسان وألا يقتحم أحد عالم أحد إنما بالشكل الذي تريده فأنت تريدني أن أتجرد من ارتقائي كانسان والعمل لديك تاجر أرواح وأجساد أبيع ما

اكسب به ذهب وفضة وما نفع الذهب والفضة وأنا أنجس يدي بالقتل والظلم والقهر

- لم تفهمني يا صديقي

- أنا لست صديقك وأنت الآن تتجسد أمامي كشيطان لاهث ينفث ويحاول الدخول إلى عقلي لإقناعي بممارسة أقدم جرائم البشرية القتل والخيانة لإنسانية الإنسان نفسه .. لقد كفرت بطمع الإنسان واحتلاله للأراضي على وجه الكرة الأرضية ولكن في سبيل إيماني بنقاء روح الإنسان ورفعته

- الم تبحث عن السعادة المطلقة

- نعم ولكن ليس بتسخير نفسي وغيري لجمع كنوز الأرض لبناء حوائط حول دولة قامت على القتل والظلم والاتجار في أرواح البشر

- السعادة المطلقة هي الإحساس بامتلاك كل شيء وعمل كل شيء وتنفيذ كل رغبة وقتما شئت وها أنا ارسم لك الطريق وأوضحه لكي تصل إلى ما تصبو إليه

- أنت شيطان تحاول أن تدفعني لطريق أضل فيه عن ما أسمع لاقف في منتصفه ولا أعرف لماذا مشيت في هذا الطريق

- بل على العكس .. أنا أوضح لك طريق لتعرف ما أعرفه

- وما هو الذي تعرفه

- ما بين هذان البحران مملكة من ممالك الجنة الأرضية .. في وقت وزمن سحيق كانت تعيش قبائل من الجن تعلب وترتع كيفما تشأ اختارت تلك البقعة قبل أن يأتي زلزال شق

البحر واخرج مكنونات من عالم أخر إلى دنيتنا ولكنها قابعة تحت تلك الصخور الضخمة فقط تحتاج لمن ينفض عنها غطاءها وما اطلبه أن تكون أنت خازن تلك الجنة وحاكمها ونحن أصدقاءك الأوفياء ابد الدهر نحميك ونؤيدك وفقط تعطينا القليل وتكون حليفنا

- ولماذا أنا ؟

- لان الهدف مزروع بداخلك والحلم يملؤك والرغبة تدفعك في كل يوم كما انك ابن هذه الأرض سعادتك التي تبحث عنها جزء من ذرات الرمل تلك ولك الحق في اكتساب ملكيتها طبقا للقانون في بلدكم ولدينا معلومات مؤكدة بان الحكومة تسعى لتمليك الأهالي مساحات واسعة كنوع من تأمين الأرض مع توجيه الاستثمار بشروط مجحفة فتكون بذلك أمنت الأرض وفي نفس الوقت مازالت لها الحرية في اقتناصها ونحن نرغب أن يكون لنا استثمار مشترك نفيد به أنفسنا بعد أن تستفيدوا مثلنا .

٩

تجلس بين اثنتين مثلها في غرفة مغلقة وتتحدث باحثه وأعلى رأسها لوحة مطبوع عليها مركز بحوث الإدراك .

يحتوي جسم الإنسان على كل شيء يحتاجه في أي وقت .هذا من الناحية الفسيولوجية والتشريحية أما العقل وهو عملية الإدراك والاستيعاب والذاكرة فلها كيان غامض مفتوح الآفاق إلى مالا نهاية متصل بأبعاد زمنية أخرى داخل الكون الفسيح ولكن ليس في حالة اليقظة الكاملة بل في حالات معينة ودقيقة عند اتصال وسيطرة العقل الباطن ومن هنا ربما يسعد الإنسان نفسه بتحويل كل هواجسه وأمنياته إلى أحلام ومن خلال الأحلام يتم خلق صور ومؤثرات تحاكي الحالة التي يرغب الإنسان العيش في وسطها ولذلك يجد الإنسان نفسه مرة وأحدة في عمق الفكرة دون مقدمات وكلما كانت الفكرة مسيطرة أثناء اليقظة كلما ترسخت المدلولات في الأحلام مما يؤثر في حد ذاته وبطرق مباشرة على الجسم المادي نفسه و يسبب تغيرات هرمونية وعصبية تترك أثار معينة داخل العقل الواعي مما يجعلنا متذكرين لأحلام بعينها ويظل ذلك الحلم بكامل تفاصيله داخل الذاكرة وربما يصاحب الإنسان طوال حياته كلما مرت لحظات أو انفعالات مشابهة .

جاءت تفاصيل الحلم من بواطن الذاكرة إلى خلف العين ليراها الإنسان ويشعر بمثل نفس المشاعر السابقة أما بالنسبة لارتباط العقل الباطن بما حدث لنا في الماضي أو ما يحدث

مستقبلا فهذا مستوى مختلف من درجات الشفافية للعقل الباطن .

ولأن حياة الإنسان كاملة بكل ما يحدث خلالها تم إقرارها مسبقا وخطت من أزمان لا نعرف عددها فان العقل الباطن ربما يستدعي شيء مما سيحدث لسبب ما نظرا لان خريطته الكاملة مشفرة بداخله وهنا لاحت صورة في خيالها وهي تخبر والدها

- جاءت لي دعوة لحضور مؤتمر دولي حول الوجودية
- الوجودية وهل تعرفين ما هي الوجودية ؟

- نعم الوجودية هي حياة الإنسان ذاته في هذا الكون الفسيح وكيف يؤثر على كل ما حوله وكيف أن أفعال الإنسان في وجوده الحاضر يؤثر على مستقبل الدنيا التي يعيشها ومن هنا هو يستطيع رسم المستقبل لوجوده الكامل فالحيوانات والجماد والطبيعة كلها تعيش ولا تحيا بينما الإنسان يحيا ومن تلك الحياة تكون وجوديته الخاصة والكاملة .

- تلك الكلمات يا صغيرتي ستصل بك إلى الإلحاد الكامل كما يرى سارتر وكل فريقه بينما الفكر الوجودي هو فكر الحياة الطلقة هكذا كان وسيظل وسيكون بدأ الفكر الوجودي ذاته عندما بدأ الإنسان يكتشف نفسه جزء جزء بالتجربة والخبرة المكتسبة إلى عقله حتى وصل إلى الرسالات الدينية السماوية وآمن بها وبحث فيها وطبق قيمها على نفسه ليكتشف أن حياته الذاتية لا تتمحور حوله بل هو يخوض تجربة مؤقتة للوصول لحياة أخرى باقية ومستمرة يشعر فيها بالاكتمال والانتماء لخالق عظيم ويجب عليه التغلب والتفوق على كل الظروف التي تقابله في حياته وتطويعها لمصلحته الشخصية للاستمرار في الحياة بشكل أفضل .على أن يكون

مؤمن بان وجوده مرتبط بوجود أعلى وأعم وأشمل ... وهل ستتركين إدارة الأعمال والمستقبل المشرق مع عصر الانفتاح فيه الفرص الكثيرة لأصحاب الخبرات والذكاء والأفكار ؟

- وما فائدة أن أعمل في إدارة أعمال أحدهم لترقيتها من مستوى إلى آخر أو حتى إدارة عمل خاص بي في النهاية سيصب في مصلحة شخص آخر أو أشخاص يتجردون تماما من سمات أعطيت لهم للارتقاء ويفرطون فيها طوعا

- أهلا بك مس ضحى
- أهلا بك سيدتي ....مستر سارتر

.....

بعد لقاء مطول ونقاش مستمر قبلت ضحى خوض تجربة جديدة بالانتقال للمشاركة في برنامج مركز البحوث الادراكية للكشف عن شفافية العقل الباطن وسيطرته على ما حوله في محاولة لفهم الوجود الإنساني وكيف يؤثر في ذاته

تسير بحنو وهدوء بالغ تتأمل ورقات الأشجار والنسيم يداعبها ثم قطفت ثمرة من شجرة تفاح دانية حتى رأسها واستمتعت بها وهي تنظر لسرب من الخيول البيضاء يعبر الجدول بتناغم وتناسق جيش مدرب دون راعي أو قائد إلا من حصان طالت على رأسه خصلة من الشعر وانكسرت حتى لامست عينيه .

مشت طريق طويل لم تتغير فيه لوحات الطبيعة الخلابة ولا حتى الشمس انكسرت أشعتها أو تغيرت في اتجاه انعكاسها على وجهها حتى وجدت الجبل وفي منتصفه ثغر

كبير تدور الورود بألوانها الثمانية حول فتحته ومن أسفله يتساقط شلال مياه بيضاء في تراتب مستمر غير منقطع .

أسرعت الخطى لتكتشف وتتلمس رونق هذا المشهد الذي ظنته لوهلة لوحة ثابتة وعند أسفل الوادي وتقاطع طريق ضيق تسير فيه مع دوران الجدول عند استقباله لمياه الشلال .. وجدتها تقف تحنو على حمل أبيض .

نظرت إليها وقالت من أنت ؟

- أنا روضة ومن أنت ؟

- أنا ضحى

- ها قد جئت أخيرا وأنا في انتظارك منذ زمن

- جئت من أين ؟ ولماذا كنت في انتظاري منذ زمن ؟

- جئت من وجود منتقص لم تكوني تشعري براحة فيه وكنت في انتظارك كي أحكي لك .

وضعت ضحى الشابة المنطلقة التضاريس يدها على كتف روضة التي لم تتعدى عامها التاسع , ثم جلسا سويا على ضفاف الجدول .

- منذ لحظات كنت أجلس أنا واكتمال روحي وسعادتي على حافة هذا الثغر ننشد الأمل في أيام لم يرها أحد وقبل انكسار الشمس في غروبها أحببت الذهاب للبحيرة المقدسة والتي تقبع خلف هذا الجبل كي اغتسل وأتطهر كي يراني دائما كم يحب أن يرى .. ناشدته وأرسلت له صورتي وأنا اغتسل كي تطمئن روحه ولكني وجدته متأزم ومتلهف لاقتناص أيام ستأتي دوما لنا .. فارتقيت نحو الوجود الأكبر وسأعدني في حلمي صديقه الوفي موروث وطار بي لأرى

دموع وانكسار أحلام على حافة الثغر فقبلت بعرضه وهو الارتقاء سريعا نحو استقرار الروح وزهد شموس وأقمار ليست أجمل مما أرى فتلك الشمس ليست إلا نور لفترة مؤقتة كلما دارت صاحبتها أيام فيها آلام وأكباد تمزق تفتت رؤى العين عندما تنتزع بقوة يد تجردت من فهم الاكتمال وفقط بحثت عن تلاقي أجساد في فترات مؤقتة ..

- أنت من زرتني منذ سنتين ؟

- نعم هي أنا

- أحلامي لم تكتمل فعدت إلي سرمدا اختار روح تكمل ميولي حتى ارتقي وعند بحثي لم أجد إلا روحين تشاركا في مصير موحد خضبت أيامه بآلام جرحت الروح وشتت طاقتها واكتمالها هم ,, ضحى وضحى .

١٠

- تعالي يا روضه بصي
- إيه ده
- مش عارف أنا لقيته كده
- إحنا منعرفوش مش من قبيلتنا خالص
- ولبسه كمان ميدلش على انه من هنا
- أوعى يا وارث تقرب منه
- ليه ها خاف ولا إيه
- لا بس أخاف عليك

نظر وارث إلى روضة وابتسامة فخر صغيرة ارتسمت على وجه الصغير وأخذت لنفسها شكل ما بين بقع بيضاء في وجهه نتيجة نقص الفيتامينات .. كانت ابتسامة تنبض بالحب والعشق الصادر من قلب صغير لم يعرف عن الدنيا سوى ثمان سنوات فقط قضيت ما بين عادات وتقاليد وجبال وأغنام ومياه هادئة تتموج على وجهها أشكال من الأسفار في أعماق الزمن السحيق .. كان وارث يخرج في كل يوم بعد الفجر بدقائق ومع أول ضوء نور لدنيته الخاصة يسوق الخراف ومعه كلب بني اللون كلما ابتعد عنك اختفي في قيظ النهار ولون الصحراء لا تراه إلا من انعكاس أشعة الشمس على عينيه من بعيد ...

طفل صغير ولد يوم ثلاثاء بعد صلاة الظهر في يوم مشمس وضياء الشمس تكسر ظلال الجبال وتخفيها والسباع

تتخفى في انكسارات ورسوبات الصخور والجبال تبحث لنفسها عن ثغور تتوارى فيها من قيظ الحر وبعد صلاة العصر ولدت روضة بنت بيضاء البشرة على غير العادة وعينيها زرقاء صرخت ليسمع صوتها من يقيم خيمته على أطراف النجع وطاف رجلا معروف عنه مباركة المواليد وختان الذكور منها وترسيم الأمل في عينيه ببضعة كلمات تكون كتعويذة تحميه طوال أيامه من غدر الرمال وظلال الطرق ومواجهة السباع ولفحة رياح الليل وأصوات الجن وهم يلعبون ..

منذ سنوات طوال ولم تحظى قبيلتهم بميلاد طفلين في يوم وأحد وان يولد كل منهم عقب صلاة وكانت تلك العلامة والبشرى التي طلب بموجبها الشيخ جبالي إقامة الاحتفال الأبيض ويتم دعوة مشايخ القبائل المجاورة لمباركة المواليد الجدد وكان ذلك بموجب عقد زواج أهلي وعرفي وتقاليدي من جميع القبائل لتلك الطفلين .

تربوا على نفس الشعور والإحساس ولم يجرؤ لا الشيخ عليق ولا الشيخ عارم أن يرفضا ترابط روحيهما كان الشيخ عارم في كل لقاء بالشيخ عليق يطلب أن يزوجهم شفهيا وعلى مسمع الجميع تبعا للتقاليد حتى البلوغ وبعدها يتم الزواج الفعلي بمباركة الجميع خوفا من عشق القلوب وخوفا على ابنته التي ازداد جمالها وتوهج وهي ابنة الخامسة فقط وكلما مر عام من عمرها زاد الوهج والجمال وتضخمت هالة النور التي تأثر القلوب من حولها .. وكلما كانت تزداد جمالا يزداد القلق والرعب في قلب الشيخ عارم .. فلديهم يقين كلي أن الجن كل عدة سنوات كان يخطف أحد أبنائهم وخصوصا إذا كان الجمال الرباني عنوانها وكلما تمييز شاب في فروسيته

وعنفوانه كان الخوف دائما مصاحب له من كل الأهل والأحباء إلا في حالة وارث وروضة .

الكل رأى أنهم كما لو كانت روح وأحدة واستنسخت أو قسمت فيما بينهم هكذا قال الشيخ جبالي فلا خوف عليهم .

خلف جبل الطور وسقوطا في اتجاه الوادي نمت الأعشاب وتجمعت مياه الأمطار في بحيرات صغيرة وبؤر مائية عذبة تثلج الصدور وتشفي القلوب كانت لهم فقط لم يستطع طفل مثلهم أن يذهب بقطيعه إلى أماكن تواجدهم حتى وان لم يكونا هناك لم يستطع أحدهم المرور بقطيعة وكأنما دبت قدسية على أماكن تواجدهم رسمت أقدامهم الأشكال مرورا حول الوادي وصعودا إلى خلجات في الجبل يتركون القطيع يندمج سويا ويقتات بالأعشاب وهم جالسون في ثغر في صدر الجبل على ارتفاع يكشف الوادي كله ويروا الخراف بألوانها البيضاء والصفراء والبنية تندمج وتشكل صور ولوحات فنية وكأنما كانت تكتب أسمائهم بأجسامها تحتمي في صمت الرياح من حولهم ونباح كلب وارث وكلبة روضة وجرائهم الصغار .

لم يكون للزمن مقدار كما ولو كانت الساعة تقف تماما وتتوقف كل الأزمان على لحظاتهم في اجتماعهم .

يجلس على حرف الثغر ورجلاه تداعب الهواء جيئة وذهابا وهي تضع رأسها الصغير على فخذه وتنظر باستمرار إلى عينيه وكأنما ترى روحه .

أسعد لحظات الحياة كانت عندما ترتسم لوحة من الطبيعة بألوان الخراف ومن بينها أعشاب وأشجار وارفة بالخضرة وندى الأوراق يتساقط وتدرج ألوان الوادي من الأصفر إلى الأبيض إلى انكسارات الرياح السلسة على تموج الرمال وعبير من نسمات تشرب مياه من سفح الجبل وتعود على

وجهيهم لتأخذ الروح وتطير إلى عنان السماء محلقة لترى الدنيا كلها في جمال خلق ليستمتع به الإنسان ويسعد .

كلمة صغيرة من وارث لشريكة روحه كلها شهور وأيام وأستطيع ضمك إلى روحي بلا عودة وسيكون ظهر هذا الجبل بيتي وبيتك ولنختلي عن كل البشر ولننجب ثلاثة عشر ولدا وبنتا ليكونوا لنا السند والكف .

يوم في كل ليلة احلم به واراك تحملني وأنا ارتدي كتان ابيض منعم وزهور البرية تتراص أمامي وتملئ الدنيا بعبير لم اشتمه في الواقع .

لك كل ما تحلمين به يا اكتمال روحي ودنيتي .

ثم تجمع الخراف بمجرد نزولها من سفح الجبل وتتبعهم دون عناء وصراخ وبمجرد الاقتراب من قبيلتهم تنشق الخراف وتنقسم ويعود كل وأحد منهم خلف صاحبه ويدخل الليل بسماء صافية وزهو ضياء النجوم تنعكس على الأعين عند النظر إليها وتنكسر ضياء القمر على صفحة مياه البحيرة المقدسة .. البحيرة التي اغتسل فيها اشرف الناس والجان .

هكذا كانت أيامهم دائما خالية من كل شيء إلا هم لم يروا إلا طهارة الأرض والمياه والهواء .. طقس يشفي القلوب والعقول ويجعلها تصعد إلى مراتب الحلم والأمل والأعين مفتوحة .. فتكونت لديهم رؤية خاصة بكل الدنيا .

لم يروا الظلم .. لم يروا جنود المماليك يعبرون بجوارهم يحملون البضائع من الغرب إلى الشرق وبالعكس ..

لم يروا تجبر الإنسان على الإنسان ولم يروا امرأة جميلة ولدت وتربت ابنة عز ثم جاء يوم يقتادها ملك كخادمة له وضع على كتفها ختم من نار عليه اسمه يأتيها وقتما يشأ

ليفعل بها أعجب ما يحكى ويقال ويجردها من نقاء الإنسانية وروعة الشوق لحبيب والإفضاء بالروح له في لقاء تحت ستار الليل والنجوم شاهدة .

أغلق ميناء الطور في عام ١٩٣٠ م أي قبل ميلادهم بعشرين عام ثم أتت عليها الرياح والإهمال فعاد الشاطئ كما خلق وصفيت المياه وأصبحت بكرا كما كانت دائما وعاد الجن يلعب ويستمتع في فضاء الأودية .. يخرج من المياه منطلقا إلى عبق الهواء ناكرا على الإنسان الاستمتاع بدنيا ذللت له بكل إمكانياتها وجمالها إلا من وارث وروضة استشعروا جمال الكون وروعته وعرفوا أن السعادة هي في اجتماعهم والانتشار في وادي فسيح والنظر إلى السماء ليلا ورؤية نجومه اللامعة واستدراك النهار وهو ينبلج في الليل ليضفي روح الحياة على الدنيا كلها .

١١

تربت في مصر وعلى ضفاف نيل شبرا فقد كانت روجيكا مصرية وهذا ما لم يكن يعرفه وارث .

أب بديل لم يعرف أن ضحى ليست ابنته بل فقط رباها واكتسبت منه رجاحة عقله بينما اكتسبت الروح من سبب وجودها .. ثائرة منذ تهادت أقدامها ودفعت الأرض لتشكل أول خطوة لها .

بعد سنتين جاورتها أخت وأخرى بعد سنة من الأولى ...

زارت ضحى باريس وهي في رحم أمها وأحست باجتذاب نحو شيء لم تفهمه وارتبطت بصوت رجل يربت بيده على بطن أمها .

طبيب يدرس علوم الاتصال الالكتروني عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية .. ثم يتفرغ لدراسة النفس البشرية ويقطن شبرا من ناحيتها الشرقية . بجوار قصر محمد على كان يملك منزلا ضخما وله حديقة ممتدة بطريق يقسمها نصفين حتى الباب الكبير بلونه الأحمر القاني .. لم يشغل باله بأحد بل بفكره وسبب وجوده في الدنيا والى ماذا ستكون نهايته ودنيته ؟..

لم تتركه أطماع البشر بل قفزت إلى أطباقه وهو يتناول طعامه ويُجلس ضحى على فخذه وتتشكل الأطماع من فم زوجة أخيه عندما قالت لروضة والتي كان اسمها روجيكا

سابقا أن كل هذا الميراث لأبنائي الذكور فالقانون سيحكم بميراثهم بعد وفاة الرجل .. والأولى أن يتزوج ذكوري إناثكم .. سمعت الطفلة ابنة التسعة أعوام ما جرى وأخبرت والدها عن ماهية الكلام ليوضح لها أن الدنيا كلها أطماع ونفوس ملئ بالشر ..

تلونت نفس ضحى بكره غريب نحو أبناء عمها .. ولم تكن تعرف أن كرهها لم يكن فقط لأنهم ليسوا أبناء عمومة بل لأنها ليست مثلهم و أرقى قيمة ورفعة

طفلة صغيرة لا تعرف من مشاعر الحياة الدنيوية سوى الإحساس المجرد الذي بني على مواقف معينة رأتهم يفضلون الذكور ويهمشونها وأخواتها ثم زاد التهميش حتى وصل إلى والدها الباحث المثقف الذي ترك التقديرات العلمية والمركز من اجل البحث في غياهب النفس البشرية معتمدا على ارث من مبالغ مالية احتفظ بها في شكل ودائع بنكية بالإضافة لأرض ورثها بعد وفاة أبيه

وجودها ومعها اثنتين من البنات جعلها في كل يوم يمر يكبر معها إحساس بالتفوق دائما حتى تثبت للجميع أنهن أفضل من كل الذكور الذين ميزوهم وبسببهم يبحثون طمعا عن ميراث والدها وأيضا الحصول عليهن كجواري لا رأي لهن ..

كانت الأولى على مدرستها وعلى مستوى المحافظة ويترتب اسمها في كشوف المتفوقين على مستوى الجمهورية ورغم ذلك جاء المدرس وخص ذكر بما من المفروض أن تحظى به فلم يقبلوا جميعا كهيئة تدريس أن تكون المتحدثة باسم المدرسة بنت لا ولد .. قهرت وغاصت نفسها في تشتت

من سوء المعاملة وبكت ليلا على صدر أبيها وهو يمسح دموعها قائلا ..

إذا كنت حزينة على تفوقك من اجل نفسك وسعادتك الداخلية فلتبكي طوال الليل حتى تفيض الغرفة وترتاح نفسك من شرودها أما إذا كنت تبكين من اجل تقدير الناس لك لإسعادك فلا يستحق دمعة وأحدة تسقط من عينيك .. فلا يستطيع سوى الإنسان ذاته يسعد ذاته ... وقمة الشعور بالسعادة هي الراحة والاطمئنان الداخلي دون النظر إلى ما لا يؤثر في الذات نفسها فالإنسان الفاعل هو من يؤثر ولا يكون تأثره إلا بما يخص وجوده وكماله واستقرار روحه فقط .

تركت تجارب مختلفة ومتعددة من الشعور بالتقليل أمام الذكر رواسب نفسية مكبرة تدفع الروح الحالمة للتأمل والنظر إلى الداخل وليس خارج الجسد ومن تلك التجارب روت بذور الاستقلال عن الدنيا كلها والبحث عن سعادة تختص هي بها وحدها .. حتى وان جاءت زوجة عمها الأكبر تقل لروضة أمها أن مجموع درجات أبناءها الذكور لا يهمها فوالدهم أعد لكل منهم مشروع في مخيلته حتى أنهم يخطبون منها وهي في السوق وهم ذكور طمعا في شبابهم وميراثهم ..

صرخت ضحى في وجهها لأول مرة من فرط الكبت المخزون بداخلها . فها هي ترشحت لدخول كلية طب قصر العيني ودارت حولها جمل التهاني والغيرة الملفقة في علب الشيكولاته وخطب الود من أبيها الباحث المشهور الذي نشر أبحاث وترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية . واليوم تأتي وتجلس في بيتهم لتظهر حقد وغيرة من أنثى تسعى للكمال وتريد تهميش حياتها وروحها لترتفق في معصم أحد أبناءها الفاشلين والذين هم مغرورون بلذات دنيوية دون النظر إلى داخل الروح والبحث عن ماهية دور كل إنسان خلق

- لا ... لا يـا عمتـي ,, الأفضـل لـي ولـك انـك إذا مـا رغبتي في زيارة بيتنا أن تتعلمي أصول الود وصـلة الـرحم .. فأنـت لسـت الله ولا حتـى إبلـيس كـي تحـاولي بـث أطماعـك وإظهار الحقد على شيء وصلت إليـه بمفـردي ولسـت أنـا ولا أبي ولا حتى أمي وإخوتي مسئولون عن أحلامك كي تحقيقيها في تسير كـون العائلـة كيفمـا تريـد نفسـك الطامعـة فـي حيـازة المال والعبيد .. لقد خلقنا أحرارا وان قيـدت الأغـلال الأرجـل والأيادي فالعقل حر طليق يسعى كيفما شاء ويطيـر باحثـا عـن أحلام ولا يستطيع مخلوق أن يسيطر عليه مهما فعل .

.....

تلك كلمات صدرت من عقل ضحى بشكل حـازم ومباشـر فوصلت إلى داخل عقل عمتها والتـي صـمتت فجـأة واسـتقبلت تلك الجمل في ثوان بسيطة ومتلاحقة .. لتـنهض مفزوعـة مـن جلستها وتدخل تلقي السلام على أخيها في عجالة وتهـرب قبـل أن تفجر لها ضحى ما بداخل جمجمتها ..

بعـد أن أغلقـت البـاب خلفهـا ذهبـت مسـرعة وهـي تنظـر لوالدتها في اتجاههـا نحـو غرفـة المكتـب والتـي يقبـع بـداخلها أبيها وابتسامة عريضة ومشـرقة تملـئ الغرفـة كلهـا ارتسـمت على وجهه بعد أن رأى وسمع ما قالته ضحى لأخته ثم زادهـا هروب أخته الطامعة في بناته

جلست أمامه ودون كلمات وضع أمامها بندول به خيط في نهايته كرة معدنيـة وأحـدة . ودون كلمـات فقـط نظـر إليهـا .. لتغلق الباب وتجلس على كرسي ارضي مصـنوع مـن المـامبو الرفيع في نصف استدارة وعمـق مـنخفض ليجعـل مـن يجلـس فيه يغطس تماما ويرتكـز كـل جسـده علـى مقعدتـه وفخذيـه ..

وضعت البندول أمامها وتذكرت شيء في عمق عقلها بعد أن أغلقت جفونها ..

لم تكن تبلغ السادسة ودخلت إلى مكتبه وجلست عل كرسيه وقلدت وضع جلوسه وابتعاده عن الدنيا كلها وبعد دقائق ودون أن تفتح عينيها تحرك البندول في دوائر من الأسفل للأعلى .. وقف ينظر إليها وقد تأكد له أنها تستطيع ترويض العقل والغوص في أعماق النفس والبحث عن راحة وسعادة تخصها . لم يخبرها في يوم ولم يشأ أن يتدخل في موهبة نابعة من روح لا تستحق منه التأثير على أداءها .

١٢

يوم صيفي جميل جاء بنسماته في الفجر وأرسلت الشمس أشعتها الذهبية على ضفاف رمال الوادي وانعكست على حواف البيوت القصيرة . وغردت عصافير وطيور غريبة في سماء النجع الصغير المنزوي خلف تلال قابعة منذ آلاف السنين ولم يستطع وارث القيام من فرشته .. سعل بقوة وهو ينادي على أمه

جاءت تضع يدها على جبينه وجسده الصغير المسجى آلما فقد أصيب بحمى ألهبت أوصاله

أوصى الشيخ جبالي بالراحة والاستحمام بعد أن أعطاه منقوع من أعشاب بريه وطلب من الشيخ عليق أن يتركه يستريح على الأقل ثلاثة أيام وبعدها يذهبون به إلى البحيرة المسحورة للاغتسال والتطهر

نظر وارث إلى والده وقبل أن ينطق قال الشيخ عليق انه سيرعى الغنم بنفسه أو يرسل عليها أحدهم فلا تقلق يا ولدي

وبعد أن خرج جاءت الأم وربتت على صدره وهي تقول أنها سترسل بعد العصر في طلب روضة لكي يرتاح قلبه ثم غفا لساعات وبعد أن استفاق لم يجد أحد حوله

تجلد وخرج فاتحا الباب ينظر خارجه ليجد الدنيا كلها خواء حتى الكلاب لا تنبح ولا يرى لها اثر

مرت الساعات ثقيلة وبطيئة وهو ينتفض من آلام الحمى وآلام الفكر المشتت المختلط بخيالات رأى فيها لأول مرة

موروث صديقه الملازم والوفي ورأى طيف لروضة دقائق يبتسم وأخرى يبتعد

لم يدرك انه أنتقل من مستوى إلى مستوى لم يعد مجرد إنسان يعي بعقل جامد ويعطل هبات كثيرة في مخه

عند الغروب وانكسار آخر ضوء وجد النجع كله قد حضر

- أين كنتم يا أمي ؟
- كنا حول الجبل يا ولدي
- لماذا ؟

صمتت الأم ونظرت بعيدا شاردة ودموع تحتبسها أرادت لو تفجر مقلتيها وتندفع

- دخل الشيخ عليق وجلس جواره ونظر إلى عينيه وجسده قائلا ...

- نحن يا ولدي رجال توصف بنا الأشعار والقصائد ومن أفعالنا كانت الأمجاد ورموز الرجال , لقد خرجنا جميعا بعد العصر نبحث عن روضة والأغنام بعد أن تأخرت ولم يعد إلا الأغنام تسوقها الكلاب .. بعد أن علمت بخبر مرضك صممت أن تخرج بالأغنام جميعها قاصدة واديكم المقدس وحدها خرج معها أخيها ثم عاد وعندما تأخرت خرجنا جميعا ولكن لا اثر وجدنا بعد الجبل كما لو كانت قد تبخرت في الهواء .

ذهول يرتسم على وجه وارث وتخشبت أوصاله وبدلا من الدموع فرطت نافورة من جبينه تندي ملابسه وفرشته ولكن كلمات والده عن الرجولة منعته حتى من السؤال والاسترسال

فرجال النجع عادوا مزيلون بالخيبة ومقتنعين انه ربما خطفها الجان

هؤلاء الجان لم يكونوا أبداً من الجان بل أناس متعبدون في دير سحيق يختفي عن الأنظار تحت البحيرة وله مدخل وأحد من ناحية البحر من خلجات حيدية أسفل الشاطئ يخرجون كل عام في مواعيد تتناسب مع رموز وتراكيب نجمية محددة ظنا منهم أنهم مرتبطون بالسماء

يعيشون على نفس الأرض ويتنفسون نفس الهواء ويأكلون نفس الأكل ولكنهم لا يشبهون الجميع مختلفون ربما في الملامح وربما في طريقة الحياة

لماذا اختصوا أنفسهم بروضة ؟

لأنها جميلة ؟

هناك الكثيرات جمالهم أخاذ .. إذا لماذا ؟

لابد وأن أبحث عنها

ثلاثة أيام مرت وقف وارث منتصبا وممسكا بنبوت من أشجار الليمون .. أعد عدته ونظر في وجهي والديه وهو يخبرهم بأنه متوجه لرعي أغنامهم كالعادة

نظر الشيخ عليق إليه في رسالة واضحة بأمنيته بان يكون قد تناسى ما حدث و ألا يقلب فيه أفكاره مرة أخرى .. وهو يعلم كل العلم واليقين أن وارث لن ينسى ولن يترك اكتمال روحه للرحيل دون عودة أو حتى على الأقل يفهم لماذا رحلت ؟

وصل وارث إلى واديه المقدس وترك الأغنام تنتشر وتتلون مثلما كان يفعل هو وروضة معا .. كان معه أغنامه

وأغنامها .. كان معه طعامه من الجبن والخبز .. كان معه مئزره ونبوته ..

تعاشقت الأغنام وشكلت لوحة جديدة لم يرها قبل ذلك .. صعد مسافة لأعلى حتى وصل للثغر الذي كانا يستمتعا بوقتهم فيه معا .. جلس ينتظر ظهورها وعودتها من داخل الثغر كما ولدتها أمها هكذا تعود أن يراها .. وهكذا هي أيضا استمتعت بلحظاتها معه ..

بمجرد جلوسهم في الثغر كانت الأزمان تختفي والمكان ينتهي عند حافة أقدامهم لم يكن في فضاء الكون غيرهم معا

بعد ساعتين سمع حركة أقدامها تخرج من الثغر , شابة جميلة اختصت لنفسها بكل جميل من نساء الأرض

شعر ذهبي طال حتى أردافها يتطاير من نسمات هواء حركة أقدامها

وجبين استدار وشاعت منها الضياء والزهو .. يرتكز على أعين سوداء تموج فيها الأحلام .. إذا نظرت بداخلها تهت وراحت منك كل الأزمان ثم خدود احمرت من فرط النضارة وعذوبة الشكل والتناسق غزتهم بحور صغيرة إذا ما ظهرت أسنانها وهي تبتسم وتشرق اللحظات عند رؤيتك لها .. وقفت بقوام أنثى يحلم بها سكان الأرض كل على قدر مخيلته تكاد ترى الدم يتدفق من صدرها من شفافية البشرة ورونق ألوانها . نهود تتمنى فقط لو نظرت لها حتى لا تلامسها وتغير شيء من جمال تناسقها ثم جزع وروح تتشكل لتكون ثابت جمالي اكتشفه الإنسان بعد سنين واسماه ثابت فأي علاقة الجزء للكل بتناسقه

- أين كنت منذ أيام ؟

- أنا هنا دائما
- ولكني لم أراكي
- كنت مشغول بشيء لن يأتي إلا بعد سنين
- أسف يا اكتمال روحي في فضاء الأيام والسنين

غاصوا سويا في الثغر يرتشفون الحياة معا ويستمتعون بلحظات لا يعرف عنها البشر شيئا ثم انتقلوا سويا و معا لرؤية ابنتهم الباكية

- هذه ضحى
- ابنتي ... حبيبتي

غاصت في أحضان أبيها وغطت أطرافها بدفء أمها وتهادى الشعر الذهبي يرفرف مداعباه الهواء أعلى الجبل

استفاق وارث على صوت موروث يناديه مهللا ..

- هل عرفت الآن إلى أين ذهبت وتركتك
- نعم وما دخلك فيما أرى ؟
- عجبت لك يا وارث ! ما زلت رافضا .. لولا طيراني وحركتي ما تحركت موجات تستطيع من خلالها نسيان أرضيتك والرقي إلى أسمى درجات السعادة التي من اجلها تضحي بكل شيء .

١٣

أنا أراه مناسبا جدا ...

تلك كلمة الأب الحنون .. ودليلها في الدنيا وابتسامة أمل من أمها ..

ابتسمت بخفة ووافقت

بعد يوم وأحد كان احمد يجلس في صالون فخم كبير في منتصف الطابق الأرضي للمنزل ومن خلفه تتساقط أشعة الشمس مختلطة بأغصان الأشجار الكبيرة وتتخلل زجاج الشباك لتمنعها ستارة خفيفة من الحرير الصناعي ولا يبقى منها إلا ظل خفيف انعكس على تقاسيم وجه ضحى ابنة الثامنة عشر وهي تجلس أمامه بجوار والدها على أريكة بها ألوان خضراء ووريقات أشجار صغيرة دلت في معناه على اختلاط روحها برجل ليست من صلبه ولكن تلاقت روحها واستقرت جواره وما لبثت أن تابعت أيامها بعيدا عن كل الكون خلفه ..

لم تنسى ضحى أبدأ في يوم أن عائلة والدها الكبيرة كثيرا ما كانوا يفضلون أبناءهم الذكور دون وعي أو سبب , فقط لمجرد أنهم ذكور تكون لهم كل القيمة .

في البداية زوجة عمها التي تريد ميراث أبيها وهو مازالت قدمه تدب الأرض في صحة وعقل وبعدها تفضيل عماتها السبعة لأبناء عمومتها كلهم ولفظها هي وأخواتها فقط لأنهن بنات وأيضا لان روضة زوجة أبيهم من أم أوروبية ورثت منها ملامح الجمال النقي . كانت تخطف القلوب

بجمالها ورغم التفاف الذكور حولها كذباب ينهش قطعة من حلوى فرنسية حديثة الصنع . فضلت أبيها لرجاحة عقله وعمق فكره وشخصيته . ومن هنا كان عشقه لها . اشترى ذلك المنزل مبتعدا على باقي الأهل وأنتقل بزوجته وأولاده يربي أرواحهم على عمق الحياة بعيدا عن الانزواء في شرور وتجريد إلى أرذل ما يفعله الجسد

- أهلا بك يا ابني

- أهلا بك يا عمي ومرحبا

- ها هي ضحى وافقت على قبولك كخطيب لها ولتعلم أنها درة نادرة فحافظ عليها

- نسبك وشخصك هو تكريم في حد ذاته فما بالي اختص لنفسي بدرة تعطيها لي .

تمت الخطبة سريعا في حديقة المنزل وتلونت الأشجار ليلتها بألوان متعددة دعت من يراها إلى البهجة والإحساس بسعادة قرب الأحباء واختلاط أيامهم .

طبيب يعمل في انجلترا وهو في زيارة لمدة أسبوعين فقط لبلده وأهله وأمه والذي تأثر كثيرا بها .. عندما رأى فيها كل اكتمال لشخص إنسان جميل ومتوازن الفكر والأحلام .. لدرجة دفعته لاختيار من تكمل حياتها معه أن تكون مشابهة لها .. وذلك التشابه لم يراه هو إلا في اللون والشكل وتراكب أجزاء الجسم , فقط كجسد .. لم يرى إلا ذلك أمامه ولم يعرف أو يتخيل كيف تكون هي عندما تفضي بروحها لأبيه في اشد ليالي الشتاء برودة .. وكيف تنكسر روح الأنثى عندما تتداخل في روح الرجل .. فمهما كانت حازمة ومتسلطة في النهاية لابد لها وان تقع في اختلال ما بين قسوة مصطنعة واكتمال

روح الرجل بها ,فهي في بدء الخلق جزء من هيكله ولن تجد راحتها الروحية وهدوء الكيان الكامل إلا في عندما تلامس ضلوع حبيبها وتحتضنه وتشعر بدفء جسده الدافع للاطمئنان والأمان حتى ولو كانت الجيوب خاوية والمنازل تفتقر للأثاث ..

اختار بعينيه أنثى شقراء اللون وشعرها مسترسل على كتفيها في لون أشعة الشمس عند الغروب طويلة وجزعها مفرود شقية الملامح وخفيفة الظل .. كلماتها تبعث على الحياة ..

تحدث معها مرات عديدة أثناء دراستهم في الجامعة .. تقرب أكثر من مرة وحاول توضيح شعوره السطحي بحبها وعشقها .. لم تلقي له بالا , مرت الأيام لتصبح سنوات , أكمل الماجستير وتخصص في نفس ما تدرسه حتى يكون في قربها .. عرض نفسه عليها .. وطلب يدها

رفضت بشكل هادئ ودبلوماسي محنك وهي تبتسم وتتعلل بأنها تسعى للدكتوراه من باريس والزواج نظام سيقيد كل حلم للتطور والتفوق .. حاول أن يطلب منها وعدا بالتأجيل رفضت تماما وبشكل قاطع

شهور بسيطة من الحصول على الماجستير وجاءه خبر ودعوة بحفل زفافها .

أنجبت طفلين وهو مازال منتظر .. عشقه لها ظل في قلبه وزاد هذا العشق قوتها وثباتها عندما رفضته رآها تشبه أمه .. ومن هنا تعلق أكثر بها ... مرت السنين وأنهى الدكتوراه وتسلم عمله في مانشستر بإنجلترا .. أبهرته النساء وحرياتهم وبساطة شخصياتهم وعلاقاتهم .. ارتشف قليلا من نبع الأنوثة

الإنجليزية .. واستمتع بلحظاته وبعد شهور أحس بخواء داخل قلبه ..

شيء ما يدغدغ القلب كلما ضاجع أحداهن أو ضاجعته هي .. كلما ارتسمت على وجهه ابتسامة كاملة كان يرى في وجه من تجامعه معشوقته الكاملة

وبعد إلحاح من الأم والأب عاد في أجازة لحضور حفل زفاف أخيه الذي يصغره بخمس سنوات كاملة ومن هنا كانت كلمات أمه ..

لقد اخترت لك أنثى جميلة ومهذبة ..

شفتان ,السفلى مكتنزة والعليا تقبع فوقها في تناغم ورقي وخدين ممتلئين وسمار النيل في بشرتها وملامح أصيلة تتكامل فيها الأنوثة ثم ابتسامة مشرقة وحالمة . تلك هي ضحى الشابة المثقفة المتطلعة لأفاق الرقي الإنساني تدرس في طب قصر العيني بالفرقة الثالثة وتنوى التخصص في علم النفس ورغم انشغالها ودراساتها وتفوقه على فرقتها بالكامل لم تتكاسل وانضمت للجمعية العامة لحقوق الإنسان وهي عضو نشط والمسئولون يتوقعون لها مستقبل باهر كما أنها بعد كل ذلك تكون ابنة الدكتور محمود رحيم الباحث المشهور وصديق والدك منذ الطفولة كما أنها تريد هي الأخرى استكمال تعليمها بالخارج للوصول لأعلى درجات العلم في تخصصها وبالتالي ستكون مناسبة جدا لك إذا ما استمر عملك مدة أطول قبل العودة

مرت الساعات وانقضت الحفلة وذهب الجميع .ولم يبقى إلا هي في فستان اخضر لامع وهو يرتدي بذلة رمادية بكول تاير ستان اسود وربطة عنق إنجليزية مهندمة ..

- لا يغرك أنا أقيم في انجلترا

- فأنا ما زلت شرقي ومصري وعروقي بها دماء تتقد

- هذا شيء يسعدني

- ولتعلمي جيدا أن شهادتك لا تهمني فقد اختارتك أمي بناء على أشياء كثيرة ليست من ضمنها الشهادة فقط ولتعلمي جيدا أني مستعد للزواج في الأجازة القادمة والتي ستكون بعد تسعة اشهر من الآن وإذا حدث حمل فلا أعتقد أن استكمال الدراسة سيكون شيء مهم في حينها كما أن خدمة المجتمع والعمل في حقل حقوق الإنسان ..لست مناسبة له هناك المئات غيرك يستطيعون القيام به .

.....

لم تكن تسمع الكلمات كاملة بل كانت طائرة وحالمة بان لها رجل ذو مركز محترم ودرجة علمية وشاب في عز شبابه سيكون فقط لها .. وستجمع كل السعادة التي حلمت بها في أيامه معها .. الآن فقط سيعلم كل من كانوا يميزون الذكور عني أني أفضل منهم فلقد جاء يطلب يدي شاب في أول العقد الرابع .. عاش سنوات في أوروبا واختلط بالكثيرات وفي النهاية فضلني على كل من شافهم

رفع صوته في وجهها ..

- ضحى ألا تسمعيني ... ألم تسمعي ما قلت ؟

- بل سمعت ولك كل ما تطلب

ثم ابتسمت عيناها فوق خدودها التي احمرت من الخجل والأنوثة الكاملة ولو وضع سيجارته الروثمن عليها لاشتعلت .. وجهها مضيء كالبدر في طرحة بيضاء تلف شعرها

وتعكس الضوء فينكسر خجلا من طغيان الأنوثة والروح الهائمة

لم يكن أمامه سوى أربعة أيام ويسافر إلى انجلترا .. وكان من الطبيعي أن يقضي معها معظم الوقت ليستزيد تعارفا .. ولكنه جلس على كافيتريا في شارع طلعت حرب ينفث دخان الشيشة ويضع يده على كرشه مرتديا قميصا بأقلام لبنية ويثني اسورتيه مرتين على معصمه ويضحك مجلجلا ومن خلفه تصدح أم كلثوم بأغنيتها الخالدة " أمل حياتي " وكلما كانت تروح أذنه للاستماع للأغنية كانوا أصدقاؤه الثلاثة يلقون في حجره بنكته شعبية .. ليفتح شادقه باتساع ويطلق الضحكات كبيرة ومدوية وهي تجلس جوار التليفون في صالة البيت الكبيرة وتقرأ كتاب في انتظار اتصاله في التاسعة مساءا كما قال لها

ثاني يوم وأحست بإهمال منه إلا أن روح الأنثى الحالمة قالت لها فلأدعه يخرج ويستمتع كما يشاء فانا منه وجزء يكمله

لم يتصل ..

خرج الأب يمشي في خطوات هادئة يرتدي روب صوف به مربعات كبيرة لونها اصفر ورفع نظارته وفرك عيناه من إجهاد القراءة ثم قال ...

حبيبتي لن يتصل وتخطت الساعة منتصف الليل

هزت رأسها برفق وحزن عميق تسرب إلى عيونها وتمنت لوالدها نوم هنيء وصعدت إلى غرفتها .

١٤

- ها أنت هنا كما طلبت وكما وعدتك
- نعم كما طلبت

.....

نظر وارث إلى الجنرال بعين باردة لو تجسد الشعاع الصادر منها لقسمه إلى نصفين

ثم أشار الجنرال بهدوء فتقدمت روجيكا . ضابطة برتبة ملازم يتجمع شعرها الذهبي خلف الكاب الميري وبريقه يشق الأعين من على بعد أمتار ونهودها تشرئب إلى أعلى منادية في زئير دائم ها أنا هنا وينسجم القوام الممشوق والمشدود على رقة وجهها وبساطة ملامحها الأوروبية

ثم همس في أذنها أن تصاحب وارث إلى الغرف الخضراء .

نظر وارث إليها بدون اهتمام وهي تخاطبه بالعربية ... اتبعني يا سيدي

تبعها وارث بعينيه على مؤخرتها المستديرة المنسجمة طولا وعرضا ومحيطا مع ارتفاع الجسم وبقلبه وعقله يهفو إلى لقاء حبيبة الأيام والأزمان وعشقه المنقوص الذي خطف منه منذ سنوات

باب اخضر ضخم يفتح بكارت رقمي وأرقام تكتب على اللوحة المجاورة لمقبضه . ثم ممر ضيق طويل تكاد تحس انه لن ينتهي وعلى جانبيه أبواب بلون ابيض وعليها أرقام متسلسلة بالترتيب تصاعديا

وعند الرقم ٩ توقفت روجيكا وضغطت على زر صغير ارتفعت لوحة زيتية إلى الأعلى لتظهر مرآة كبيرة لينظر من خلالها ويرى أنثى شقراء تتمدد على السرير ممسكة بكتاب قديم ومنهمكة في القراءة لم تكن ترتدي سوى قميص قطني به نقط حمراء صغيرة ومن فتحة الصدر بالأعلى يظهر جانب من نهدها اللؤلؤي البكر هكذا قال لنفسه .. تلك الأنثى الجميلة بكرا ولم يمسها إنسان ولقد كانت نظرته صحيحة إلا أن مس الإنسان بها اختلافات فمس الرجل شيء ومس الأنثى للأنثى شيء أخر .

بعد نظرة ممتدة لثواني أشاح بوجهه لروجيكا يمينا ويسارا

في الجهة المقابلة الغرفة رقم عشرة

ضغطت الزر ارتفعت اللوحة الزيتية ظهرت المرآة ومن خلفها نموذج مثالي للأنثى الرومانية في الأنثروبولوجيا الرومانية مع فارق لون البشرة فقط

خمرية اللون تتمدد على جانبها الأيسر تغفو وتطير في أحلامها مع ملائكة من المؤكد تلك النظرة المتكونة على وجهها ليست إلا تعبير عن جمال أحلامها .. شعرها بخصلاته السوداء مسدل على كتفاها ونهداها لم يظهر منهم إلى جزء صغير

أمعن النظر .. اقترب من المرآة .اتسعت حدقتاه

هي ؟ لا ليست هي ؟!

قلبي يخبرني أنها هي وعقلي يرفض ولكن كياني كله يميل إليها ويستشعر تلك اللحظات منذ سنوات طوال

نظرت إليه روجيكا في استفهام غير منطوق

أطال النظرة إليها فقالت لم يتبقى إلا غرفة وأحدة وهي أقدمهم هنا غرفة ٢٢

اتجه إلى غرفة ٢٢ نظر إلى المرآة واحتضنها بعينه وأرسل النظرات تدقق ولكن كان عقله قد تعلق سابقا ولم يستطع تقبل أية صور جديدة

جلس على المكتب البيضاوي الكبير وأمامه ملف ورقي ضخم به أوراق وصور فوتوغرافية وتقارير طبية كثيرة .

قضى أكثر من ساعتين يتصفح الأوراق ويقرأ التقارير ويدقق النظر في الصور ثم هب واقفا ونقر على الباب من الداخل لتدخل روجيكا مبتسمة ومبهجة ووجهها ينتفض من كميات الدم التي تضخ فيه . نظر إليها سريعا وسال لعاب اقتناص الفرصة الجميلة

نظر إلى صدرها فوجد الزر الأول مفتوح وعلامات حمراء تظهر أماكن أصابع نهشت هذا الجمال الرقيق

ثم رفع نظره بهدوء وتروي إلى عينيها ووجهها لتشي به بعيدا عن عينيه وتقل

- هل انتهيت ؟
- لا لم أنتهي
- أغلقي الباب واجلسي

أغلقت الباب وجلست على الكرسي المقابل له ولكنه لم يجلس بل وضع الملف من يده واتجه بهدوء وبطء مميت نحوها ثم توقف تماما خلفها ووضع يديه على رقبتها من الجهتين ومررهم إلى الكتفين ثم عاد بهم إلى الرقبة ثم لامس

بهدوء نهديها المشرئبين وعاد لأعلى فتحة الجاكت العسكري عند الزر المفتوح وادخل يده اليمنى

تحركت واستفزت , ضغط بيده اليسرى على كتفها بقوة في تلميح لتهديد بعدم الحركة أو الامتعاض

- ماذا حدث بالخارج
- لم يحدث شيء

.....

ضغط على نهدها وفرك حلمته لتتأوه مع الضغط على رقبتها بيده الأخرى ليميلها ناحية نهدها المعصور

- أستطيع أن أقدم توصية للجنرال بأن تكوني أحدى خطوط المراسلة فيما بيننا ثم اطلب أن تكون المرافقة الشخصية وبمنتهى البساطة أستطيع استخدام العبث النفسي لديه وأخرج بعض السادية التي يستمتع بها في كلماتي عنك لأسقطها عليك بشكل مريع . هو رغم سنه الذي تخطي الخامسة والخمسين وشعره الأشعث وأنفه الطويل الحاد وركبته التي تظهر في بنطاله وهو يمشي إلا أنه يحتلم على طريقة تمايلك أثناء المشي . لن تتخيلي مدى الروعة وهو عريان كما ولدته أمه مستلقي بين خمسة من عبيدي اللاتي جلبتهن من أحراش إفريقيا, يضرب تلك بمسمار حديدي لترتعد ويعض هذه من فخذاها حتى يدميهم ثم يتلذذ بالدم ناطقا اسمك . وهل تعتقدين أنك ترقيت إلى سكرتيرة في هذا المبنى السري لكفاءتك ؟ لا بل هو رآك في العرض العسكري وأعجب بقوامك الممشوق وتمنى اللحظة التي يعيشها مستعبدا إياك ورابطا طوق حديدي على رقبتك ولم يكن يعلم أنك مثلية تحبين النساء الجميلات من جنسك ولم يكن يعلم أن بعض

القادة الذين أذكى منه تخطيطا وإدراكا هم من جالسوني مسبقا في قهوة بلدي بشارع شبرا وأوحوا لي بفكرة الاستقلال الفكري عن كل شيء إلا من البحث عن سعادتي الخاصة وهم أيضا من أوصوا بترقيتك إلى هنا حتى تخرجين متعتك الشخصية ولذتك الأبدية دون وعي أو توجيه على أحدى العينات لديهم و لم أكن أتخيل مدى جمالك الأخاذ إلا من وصف واسترسال الجنرال أثناء طيرانه في غياهب الأحلام وهو مستلقي أمامي كالطفل الذي يحلم بليلة عيد ويطير في أحلامه ويمسك بما يحلم به لدرجة أن جسده يتفاعل مع أحلامه أثناء غيابه عن الدنيا

- أنا ... أنا .. تحت أمرك

- أنت تحت أمري قبل أن أراكي ولكن أولا ماذا كنت تفعلين بالخارج وأنا جالس هنا منهمك ؟

- لي زميل من نفس دفعتي .. باحث كبير وأحد الذين تقدموا للتطوع بالعمل في مصحات السيطرة على الشخص بالعقل الباطن لم نتقابل منذ سنوات وكان أول لقاء لنا هنا لم يأخذ إلا دقائق وتعرف على وجهي ودون مقدمات طلب مني أن أكون شريكة لحظاته السعيدة بالكيفية التي أراها فهو أيضا هدفه الأصلي هو النجاح العلمي فقط والجنس بالنسبة له مجرد عملية راحة فسيولوجية تدفع باقي أجزاء الجسم للاستمرار والدوران ولكنه يعشق الجنس الشرجي ويستمتع به لأقصى حدود وأنا أيضا لم يكن يثيرني في أي رجل أن يتمتع بأنوثتي كيفما يريد بل كيفما أريد أنا.. أنا السكرتيرة الرئيسية للقسم الخاص بالسيطرة على الشخص بالعقل الباطن وهو الباحث المشرف وتقاريره تحدد من يبقى ومن يخرج . من يصلح ومن لا فائدة منه ولذلك كنت أعطيه متعته بمتعتي الخاصة دون أن يشعر واحصل على قمة متعتي وسعادتي من بعض

الحالات الخاصة المنتقاة بعناية فريدة من نوعها ولان هذا القسم محصن برموز سرية ليست متوفرة إلا مع الجنرال وأنا وهو ولا يستطيع أحد الدخول من الخارج ما دام أحدنا بالداخل نظرا لفصل كل المثيرات مهما كانت مهمة أو ملحة فتطبيق نظريته تقضي بعزل الشخص تماما عن كل شيء بما فيها شخصيته الأصلية حتى يمكن ترتيب أحداث ومؤثرات ومتغيرات توصل لنتائج نبحث عنها فعندما وجدني أقف في انتظار خروجك وجدناها فرصة مثيرة للاستمتاع قليلا

- وأنا الآن أريد أيضا الاستمتاع قليلا

.....

نظرت إليه في استغراب وهو يدفعها للاستلقاء على المكتب البيضاوي ونزع عنها ما يستر سر انجذاب الذكر وارتشف من رحيقها المصون منذ سنوات .. فلم تكن تفضي بنفسها إلا لمثيلاتها فقط وكان هو الرجل الذي جاءته الفرصة سانحة لاقتناص شيء مغلف ومعبأ منذ سنوات .

كل ما قرأته يؤكد أن هذه هي روضة كما أن قلبي يميل إليها ويتخيل طيفها ويهفو إليها حتى من خلف الزجاج .

١٥

مثلما تعلمت من والدها وكما قرأت ما يزيد عن مائتين من كتب علم النفس والفلسفة .. جلست في منتصف غرفتها وظهرها كان عكس اتجاه القمر وأطلقت موسيقى باخ تصدح حولها ثم دخلت في تمرين مطول استمرت فيه ساعة كاملة حتى انطلقت وارتقت من الالفا حتى وصلت للزيتا .. أعلى مستوى يمكن أن يصل إليه أحد في استدعاء العقل الباطن ثم طارت ملوحة في اتساع الكون حتى رأت أنوار برتقالية تدور في دوامات متعددة ومتفرقة ومن خلفها دوامات أخرى فضية اللون تزهو باللمعان والضياء ونجوم متفرقة عن قرب وبعد واتساع هائل يحيط بها وأضواء خافتة بها ثقوب للمرور .

طافت يمينا ويسارا وفي دوائر للصعود لأعلى .. ثم استقرت بجوار أشرطة من النور تنظر وتبحث .. لم تصل من قبل إلى تلك المرحلة ..

باب كبير فتح من العدم وخرجت منه طفلة بيضاء اللون وزرقة عيونها تؤثر من ينظر إليها ترتدي حرير ابيض يختلط بالنور المحيط بها وتذوب الضياء خلفها كلما تحركت

- من أنت ؟
- أنا روضة وعندي تسع سنوات .. ألا تعرفيني ؟
- لا .. من أين أتيت يا روضة ؟

- أنا اسكن هنا خلف هذا الباب يوجد بيتي في منتصف الجبل داخل ثغر كبير حوائطه تزهو بورود من ألوان ثمانية ومن حافته تتساقط مياه تشكل جدول لارتواء أغنامي

- هل يمكن أن أعيش معك ؟

- بل أنا وهي نعيش معك دوما وكنا في انتظارك ؟

- هي من ؟

- ضحى

- أنا ضحى ؟

- وهي أيضا ضحى

- أين هي ؟

- إنها تبكي ألما على حافة الثغر وتجمع أوصال أولادها مع أوصالها

- ومن فعل ذلك ولماذا ؟

- فعلها إنسان على الأرض يبحث عن الزهو بالمال والقوة مستخدما مخطوطات لم يستطع حتى الآن فهمها ولكنه طوع ما فيها واستخدم قدسيتها لتطويع قلوب آلاف وعقول غيرها

- وكيف كنتم تعيشون معي ؟

- أنت الكارما يا ضحى

- الكارما ؟

- نعم أنت الكارما ونحن أجزاء فقط من أزمانك كلها وكان قبلنا آلاف ولكن أنت الجامعة والكل في انتظارك حتى تنتهي

- مما أنتهي ؟

- من البحث عن سعادتنا جميعا وانطلاقنا

- هل تبحثون عن السعادة مثلي

- بل بحثنا وجاءت بنا محاولاتنا إلى هنا وقبل آلاف السنين أرسلتنا أنت كل في زمان للبحث عن سعادتنا كلنا

- وهل ستساعدونني

- بل أنت من يساعدنا . لم يبق لك إلا ثلاث سنوات وتحققي حلمنا

.....

رحلت روضة واختفى ضيها وانسحبت الأضواء وتقلصت حتى ذابت في العدم , ثم رأت باب احمر قاني كبير تلعب به الرياح جيئة وذهابا فطارت محلقة نحوه .. هذا هو باب بيتنا وتلك الأشجار الوارفة التي تلتف حوله بورودها الصفراء والحمراء هي الأشجار التي زرعتها بيدي منذ كنت طفلة في سن التاسعة

- صباحك خير يا أفضل رجال الأرض

- صباح الخير ضحى لقد اتصل منذ دقائق احمد وهو ينتظرك أمام باب الجامعة

تناولت إفطارها سريعا واتجهت لباب الجامعة تطير بقلبها أسرع من السيارة التي تجلس بها .. ماذا يرتدي ؟ هل أوبخه على انه لم يتصل بي بالأمس ؟ هل اذكر الموضوع ؟ أم أتناساه تماما ولا أذكره

- باقي يومين فقط وأسافر وأريد أن نقضي هذا اليوم كاملا معا

- كما تشأ يا اكتمال سعادتي .. قالتها في نفسها وعقلها ولوحت بيدها وابتسامة لروضة التي وقفت صامتة ثم دخلت وأغلقت بابها .

.....

وفي خلجة من خلجات صممت بعناية داخل أنفاق حديقة الأسماك بالزمالك ضغط على يدها .. وجذبها نحوه فتمنعت كرد فعل لا إرادي فشد كثيرا على ذراعها وكلها خجل , تمنت لو اختفت .. لم تقوى على مقاومته فهو أطول وأضخم وأقوى ثم لثم خدها البريء بقبله قاسية ووضع يده على أردافها ..

فنفضت يده ورجعت للخلف خطوتين ونظرت له في صمت وعبوس

- إيه فيه إيه ؟
- بتسألني أنا فيه إيه ؟
- ايوه فيه إيه ؟
- خطيبتي وعايز أبوسك ,. فيها حاجة دي ؟
- دي فيها حاجات , أزاي تتخيل أنك تبوسني كده ؟
- خطيبتي ومن حقي ...

- متكملش .. أنا عايزه أروح لو سمحت

ثم اندفعت نحو الخارج مهرولة فاندفع خلفها بلا وعي كثور يتناطح مع غيره لفرض سيطرته

صمت مطبق حتى وصلت إلى البيت , واتجهت إلى غرفتها دون وعي , استعجب الأب .. وانتظر تفسيرا من الطبيب المقيم بإنجلترا

- ماذا هناك يا ترى ؟

- لا شيء يا عمي ؟ فقط لأني أخبرتها بسفري بعد غدا

اقنع الرجل نفسه بما قيل وأوحى لعقله بأن ضحى مثل كل مثيلاتها من البنات في ذلك السن ومن الطبيعي أن تحدث عدة أزمات في بداية علاقة اختيرت لها .

بعد ساعات جلسوا جميعا لتناول الغداء وكان اليوم ضيفهم خطيب ضحى وبعدها جلست وهو على مقعد خشبي كبير في أطراف حديقتهم أمام شجرة الورد .. لم تقل له شيء بل ظلت صامته وتذكرت في حينها موقف عمتها وتشبيهها لها كما لو كانت جارية جاءت تشتريها لأحد أبناءها وها هو من حلمت بأن يكون اكتمال سعادتها واستقرار روحها . يظهر غريزته دون قيد وبنهم ..

- أنا كنت بحب واحدة زميلتي من أيام الجامعة ..ولحد دلوقتي هي ليها معنى في قلبي وعايزك ببساطة تنسيهالي تماما

- انسيهالك أزاي .. بأني أسيبك تبوسني كده ؟!

- يعني إيه كده ؟

- يعني بأي شكل وفي أي مكان وبأي طريقة دون مشاعر وأحاسيس تنقل معناها وتجعلها حلم استمتع به قبل تحقيقه

لم يرد وساد الصمت قليلا بينهم ..

ثم قال ... أنا بين يديك من الآن وحتى بعد أن أسافر أريد منك أن تكوني شريكة أيامي كلها حتى نتزوج ونكمل حياتنا وإذا ما استطعت أن أعجل بالأمر سأفعل

ثلاثة شهور تمر عليهم وهم يتبادلون الخطابات الملونة والمعطرة فقط من قبلها ولم يتذكر حتى في يوم ويرد عليها ليشعرها انه حي فيها أو في أيامها القادمة .. كانت تسهر ثم تتصل به قبيل الفجر ليستيقظ ويصلي الفجر خوفا عليه من نساء أوروبا وحتى يستمر حلمها في التقرب منها

اتصل بها مرات عديدة لتترك مذاكرتها .. وكل حياتها ليسألها كيف يعد وجبة ما وتعطيها له وتبقى معه حتى تشعر بحركة الطعام في فمه

وبعد أن مرت خمسة شهور كاملة وصلتها معلومة أنه يرافق إحداهن بشكل كامل وتبقى لديه في شقته .. اتصلت به تتأكد .. لم يخجل بل أذاع على أذنيها الخبر بلا رأفة أو حذر وإنما أطلق في قلبها سهم ناري بالخيانة لروح حب نشأ من أنثى تقدم لخطبتها ثماني عشر شابا قبله كلهم كانوا أقرب إلى سنها وفكرها ولكنها كانت ترفض أملا في الوصول لراحة روحية تبحث عنها أولا .

نهرته وهي تبكي وتنتحب وتتساقط الدموع على سماعة التليفون حتى تصل إلى يدها .. طالبته بالعدول عن ما هو فيه

من أجلها .. قال بأن من حقه أن يتزوج أربعة ولا يوجد إنسان يستطيع أن يثنيه عن ما يفعله .

كسر قلبها وتألمت ضلوعها من انتفاضته .. وخلعت دبلة ذهبية ووضعتها جوار التليفون وصعدت إلى غرفتها تجر رجليها في ألم يستشري الجسد كله ويصل إلى عينيها السوداء التي اغرورقت بدموع وتمنعت أن تسقط على خدها

جلست في عزلة والظلام تشعر به يلتف حولها ثم تذكرت وجه روضة العابس عندما أغلقت الباب وهي تلوح لها ..

١٦

- روضة هذا أنا وارث

نظرت إليه في شرود وهالت وجهها ابتسامة من خلف الملامح لم تتكون على عضلات الوجه ولكن هو رآها وشعر بها

ألبسها قميص أبيض من الكتان الخالص وأخذها معه فوق سفح الجبل وعند الثغر الذي شهد كل أيامهم وأحلامهم صنع بيتا خرافيا لا يراه الناس إلا في أحلامهم أجلسها جواره وأسندت رأسها على كتفه ونظرا سويا للشمس وهي تغطس في مياه البحر كاسرة ألوان برتقالية مخلوطة بزرقة المياه وصورة لحلم الحياة بعيدا عن الدنيا كلها يتجسد أمامهم أغنامهم بألوانها المتشكلة وحركاتهم المستمرة التي ترسم كل عدة دقائق لوحة من لوحات الجمال ورؤيتهم لأطفالهم يجرون من حولهم ويملئون جو الألفة بينهم بروح الحياة وجمالها

- لا تقترب يا وارث !!
- أتخافين علي يا روضة ؟
- وعلى من أخاف يا اكتمال روحي وحياتي ؟
- انتظري

ثم اقترب وارث بهدوء وعيناه مفتوحة .. لمسه ففتح عينيه برفق وقال

- أهلا يا وارث
- أتعرفني
- نعم
- إذا من أنت
- أنا وصالك بأحلامك وآمالك .. دنيتك ..ماضيك .. سموك .. وأرضيتك
- إذا لماذا تشبهني ؟ ولكن من أين لك هذه اللحية البيضاء؟
- هي شعرات بعددها كانت أيامك منذ خلقت

وقفت روضة تنظر لما يحدث والخوف يزلزل قلبها الصغير وامتقع وجهها البريء بالصفرة والوجوم .. نظر إليها وارث وقال لا تخافي

وقف موروث بجواره وقال لهما اتبعاني

وعند أعلى نقطة في الجبل نظرا بعيدا وفي كل اتجاه ليجدا مياه زرقاء تموج وتحيط عالمهم .. تلك هي دنيتك كما رغبت . فلتغنمها ولكن هناك شيء لابد أن تفقده ونظر إلى روضة

جذب وارث روضة إلى حضنه وضغط بذراعه عليها مقربا وقال لا ..

ضحك موروث وقفز ليطير ملوحا بيديه لهم

.....

نظرت روضة إلى وارث وقالت

- لماذا تأخرت

- لم أتأخر, بل اشتريت بك كل شيء الدنيا والحياة والوطن والأرض والناس

- في أي زمان تقصد

- زماننا يا روضة , مازالت الفرصة متاحة , تخطينا الأربعين ولكن حبك عاش في كياني كثيرا ما كان يأخذني ويقذف بي إلى غياهب البحيرة لأرى أطياف تطير حول رأسي عددها ٢١ ودائما ما كانوا يضحكون وأحيانا فقط كانوا يبتسمون ويلوحون لي حتى يأتي طيف أخر من بعيد يلتفون حوله ويرحلون ويلوحون بأنهم سيعودون

- هؤلاء كانوا أولادنا فلم أفرط أبدأ يوما في قلقي عليهم

- لماذا لم تخبريني لأستريح ويهدأ القلب والعقل والوعي

- لقد نسيت واستمتعت بزمان ومكان ونسيت أن الزمان والمكان لا يحتوى حبنا , نسيت أننا اتفقنا وحلمنا وحلقنا في فضاء الأكوان باحثين عن حرية وسعادة

.....

نزلت دموع ملتهبة تحرق خديه وتحرك ما كان يختبئ في باطن العقل احتضن رأسها وشم عبير شعرها ومرر يده على ظهرها ..

عندما فقدتك جئت إلى هنا وبحثت .همت ليالي انظر إلى النجوم والسماء أحاول الخروج , أحاول الهروب , لم استطع قتل نفسي ولم أستطع نسيان سعادتي معك

وكان الهروب مع والدي للقاهرة هو أسهل الحلول .. ولكن موروث لم يتركني وكثيرا ما طمئنني عن لقاءك القريب

ابتدعت حلم السعادة الأبدية للانشقاق بأرض هي مهد لأحلامي معك واستقدمت كل صنوف النساء على وجه الأرض كي استشعر كيف يكون الإحساس عند اندماج روحين واختلاط نبضاتهم ولحظاتهم معا ؟ ! ..

إلى أي مدي ستغمر الجسد سعادة ..؟

إلي أي مدي يمكن الاستغناء عن الزمان والمكان فقط الحياة في فضاء لحظات امتزاج الدنيا والأجساد معا .. ؟

سافرت إلي الأعماق واستشفيت روحي طائرا وباحثا عنك فلم أجدك ولم أكن أعرف انك محتبسه في جسد لم يفنى بعد

- لماذا لم ترسلي روائح أيامك لي ؟

- كثيرا ما بعثت لك أطياف منك إليك حتى لا تترك زمان ربما يكون فيه سعادتك

- كانت سعادتي أرضية ومازالت

- قلت لك لا تلمسه ولا تقترب, لم تسمع مني وكلمته هو ليس منك بل شبيهك فقط

- أريد أن أعرف ما قبل ميلادي

- قلت لك لقد رأيت جيوش هنا تتقاتل ودماء تراق وتلون البحر ونساء تسبى وتقتاد لتسرق منها الأرواح والحياة

- اليوم عندي ما كنت أحلم به صنعت لك مملكة من الجنة , أرض واسعة وطاهرة حرمت على أي إنسان أن يمس أرضك التي سميتها باسمك وغرست فيها ألوان من الأشجار والورود جعلت حراس يسهرون طول اليوم على طهارة البحيرة التي طالما جلستي أمامها تتمنين لو كنت عروس بحر تسبح كيفما تشاء بداخلها , تلك الشمس هي لك وحدك وضياء القمر تأتي في كل ليلة من أجلك أنت , جواهر وماس وخير لم يره إنسان استخرجت من تلك الأرض وجعلت منها درر لم يمسها بشر في انتظار يوم تلامس عذوبة جسدك , تحاسبيني وتنهريني على ما بعته من أجلك من أجل لحظة أرى فيها كل الدنيا معك

- من تلك التي تركتها ترتع بين أغنامنا ؟

- لم أترك أحدا ولا يستطيع إنسان الإتيان إلى هنا بل تركت قطيع أغنامنا يعيش فرحا ومرحا كما خلق دون قيود من أحد

- انظر هناك

- من تلك ؟

ممسكا بيد روضة عروس بحر في زفاف تاريخي وملكي ترتدي ثياب الحرير وجواهر ترقص فرحا من جلوسها على أذرعها والشمس تميل للغروب وتعكس أشعتها تزاوج خيالهم معا . يختلطون بخراف صوفها لامع كالذهب وليس لها أصوات بل في حنو ورقة تتداخل فيما بينها , اقتربوا منها

- من أنت ؟

- أنا ضحى

- من أتى بك إلى هنا ؟

- أنا ضحى ألا تعرفني ؟!
- أنت وأمي من أتوا بي إلى هنا

ثم ابتسمت لهم فأشرقت الدنيا من حولهم ونظرت إليهم وهي ترحل عنهم متوجهة نحو البحيرة على أطراف الوادي وقالت من بعيد .. أنا حلمكم ودنيا لم تكتمل

هامت روضة كفراشة خرجت من شرنقتها تضرب الهواء بجناحيها لتشكل تقاسيم ألوان تأخذ وارث في عالم ليس إلا لشخص يرى نفسه وحبيبته فقط .. يتهادى ويهرول خلف الألوان ثم يلتفت حوله ويرفع كفه أعلى عينيه هربا من انكسار أشعة الشمس وقت غروبها ليستطيع النظر إليها وهي تطير حوله

١٧

جلست أمام البندول ومن خلفه ينظر أبيها وبعد ساعتين اهتزت الكرة بشكل غير منتظم خلخلة جعلت والدها يرفع صوت الموسيقي حتى تعود أمامه .

جلست جواره ووضعت ذراع حولها واحتضنت صدره وهي تغمض عينها .. مرر يده على رأسها وظهرها ..

- أبي

- نعم

- سأكمل تعليمي حتى النهاية وسأتخصص في علم النفس البشرية كاملا

- لك ما ترغبين يا صغيرتي

- ولا أريد أن يطلب مني أحد التزوج فلم أعد أرى فيه سعادة كما الناس ترى

- ابحثي عن سعادتك كيفما تريدين يا حبيبتي

- أريدها لنفسي فقط .. لا أريد أن أؤذي مرة أخرى أو أؤذي أحد

- ابحثي في داخلك أولا ثم انظري لاتساع الكون وعن وجود الإنسان بداخله وإذا ما عمقت نظرتك ستصلين في يوم إلى سعادة لا يعرف عنها الكثيرين مثل احمد

تخصصت ضحى في علم النفس واهتمت كثيرا أثناء دراستها بالنفس البشرية كعمق وليس فقط مجرد إلمام بنظريات وأبحاث منها ما نجح ومنها ما طبق . وكان الاهتمام الأول هو كيف للنفس البشرية أن تؤثر على عقلها الباطن والمخطط لكل حياتها الماضية والمستقبلية للوصول للسعادة والاستقلال عن باقي الأنفس والحيوات وعدم ارتشاف السعادة من التأثر بأية أنفس أخرى .. ساعدها كثيرا سموها الروحي المزروع بداخلها وارتقائها الكامل في دراسة علم النفس قبل التخصص فيه كطبيبة من خلال المئات من الكتب لدى والدها وأيضا أبحاثه الخاصة عن النفس البشرية ..

ترشحت من ضمن ثلاثة طلاب فقط للسفر لفرنسا للحصول على دورة تدريبية مقدمة من إدارة الجامعة في إجازة منتصف العام ..

وجدت التشجيع والدفع من والدها ووالدتها أيضا . تجلس في وسط مائة وعشرون طالب من مختلف أنحاء العالم رشحتهم جامعاتهم وبلادهم للحصول على أعلى دورة تدريبية لعلوم الإدراك والمقدمة من معهد علوم الإدراك الدولي في فرنسا

في مسودة التقدم قبل بدء الدورة اختارت هي واثنتين من الطالبات علوم السمو الروحي ..

واحدة منهن فقط ارتاحت لها روحها واستأنست الجلوس معها في غرفة مزدوجة بالفندق اسمها سارة تكبرها بعام واحد فقط

كان لسارة مذهب ورؤية واتجاه تؤمن به وتتخذه طريق حياه لنفسها الثيوصوفية الحديثة , نظام تفكير فلسفي وديني غير إسلامي. يقوم على أساس ادعاءات بالتبصّر الباطني، في

طبيعة الإله وقوانين الكون. ويعتقد الثيوصوفي بأن أصدق المعارف لا تأتي عن طريق العقل أو الحواس، وإنما تأتي عن طريق اتصال للروح بالحقيقة الإلهية. ومن الظواهر المميزة فيها الاعتقاد بتناسخ الأرواح، طبقًا لفكرة الكارما الهندوسية. وتنص هذه الفكرة على أن الروح تتقدم إلى هدفها، من خلال سلسلة من الحيوات الدنيوية، وأن نتائج أعمال الشخص في حياته الحاضرة، يجني ثمارها، خليفته في التناسخ الجديد.

بعد التعارف والتقرب شرحت سارة مذهبها واتجاهها الفكري أخذت منه ضحى فقط كلمة وأحدة بقيت ثابتة في عقلها تدور تعلو أحيانا وتلوح أمام عينيها .. الكارما

كلمة سمعتها من روضة الصغيرة وتقول لها أنت الكارما يا ضحى

صبت كل فكرها في المحاضرات وتوسعت في القراءة بنهم وتناقشت مع الأساتذة الكبار من كل أنحاء العالم ولمعت في أعينهم وهم يرونها تناقشهم وتتوغل في طبقات فكرية لم يتخيلوا أن تتوفر لطالبة في مثل سنها .. لم يعرفوا أن تلك الطالبة ملكت شيئين سمو روحي داخلي بالفطرة .. وقراءة واسعة ومعرفة جمة اكتسبتها من وجودها جوار أب يعمل على البحث في دواخل وأعماق النفس البشرية.

خلصت لنفسها بعد انتهاء الدورة إلى الانفصال الروحي الكامل عن الأرض والتعلق بعقل كوني هو اكبر واعم واشمل .

ورتبت لنفسها أفكار واتجاه بالرقي عن غرائز بشرية تدفع الروح إلى المضي في طريق يقذف بها دائما ويحبسها في مستوى المعيشة البائسة أو الجحيم ولم تكن ترغب حتى في الوصول للمستوى الثاني وهو مستوى الرغبات والشهوات

بل مستوى الأرض السعيدة " السمرلاند " مستوى تذهب إليه الأرواح الراقية حتى تستطيع الصعود والاستكمال لمستوى العقل ثم مستوى التجريد ثم مستوى تقابل الجنسين وبعده مستوى اندماج الجنسين

دعوة مدفوعة من معهد الإدراك الدولي بعمل زيارات متبادلة فيما بين ضيوف تم اختيارهم من رواد الدورة وكانت على رأسهم ضحى والتي اختارت الإقامة أسبوع كامل في باريس بلد النور والعلم مع سارة الطالبة الباريسية التي تعتنق مذهب الثيوصوفية الحديث والذي يجرد كل شيء نحو السمو الروحي على أن يكون هذا الأسبوع بعد انتهاء الفصل الدراسي الثاني وقبل الامتياز والتدريب العملي ..

قدم لها معهد الإدراك عرضا باستكمال الماجستير والدكتوراه لديهم بعد الحصول على البكالوريوس من جامعتها بمصر ... وافقت ورحبت وطارت ملئ الدنيا كلها

عادت إلى بيتها بشبرا وأخذها والده في حضنه وجلس معها ما تبقى من الليلة يتحدثون حول ما استوعبته وفهمته من الدورة التدريبية كلها كما أخبرته عن الثيوصوفية الحديثة التي التقت بإحدى روادها وشاركتها الأكل والشرب والنوم أسبوعين كاملين

علق فقط الأب قائلا .. الثيوصوفية القديمة تنفي وجود أديان سماوية نزلت على الأرض ولا تعتقد إلا في الاستبصار الباطني والتواصل الروحي مع الحقيقة الإلهية وهذا أمر نرفضه.. فالسمو الروحي والارتقاء الذاتي لنفس الإنسان ليس بالضرورة أن ينكر وجود أديان نزل بها رسل لرسل من البشر للتبليغ بحقائق معينة لابد لنا من فهمها أو قبول ما عرض علينا من الفهم لنفهمه والتبحر في أعماق النفس هدفه

السمو والبعد عن مؤثرات خلقها الإنسان لأخيه الإنسان ليسيطر عليه بها فتكون مدخلا للشيطان للدخول وفرض وساوسه والتي بالتبعية تودي به لإنكار الذات الإلهية أو الوقوع بالكفر بكل ما هو فوقي وأعلى من الإدراك البشري الكامل .. لنا إمكانيات وقدرات لا نستخدمها ,إبحارنا وتعمقنا هدفه استخدام تلك القدرات والتفوق بها للشعور بالراحة والاستقرار والإحساس بالتكامل مع روح أعلى وأسمى

مرت أربعة اشهر لخص فيها الأب كل ما جال في فكره في مقتطفات وأفكار في كتيب صغير لونه احمر ووضعه بين أهم وأحب كتبه وعرف في داخل نفسه أن ضحى في يوم ما ستحتاج إليه ولن تجد إلا هذا الكتاب يعوض عنها غيابه المادي وانتقاله لشكل اخرمن أشكال الحياة التي لا يستطيع فيه التواصل معها بشكل كامل ثم ترك الدنيا كلها بمنتهى الهدوء والبساطة التي كانت عليها ملامحه بعد أن جمع كل ميراثه من مبالغ وأراضي في شكل عقود بيع لبناته وزوجته

جاءت ضحى ومعها صديقتها سارة الباريسية من حفل الأوبرا يتغنون والبسمة لا تفارق وجنتيهما فهذا أول يوم لسارة بمصر وأحبت ضحى أن تستقبلها بشيء عرفت أن له عشق في قلبها .. وجدت الباب الأحمر القاني مفتوح على مصراعيه والحزن تدور روائحه في آفاق الحديقة شعرت به بمجرد دخولها ..

انهارت وخارت قواها ولم تستفق إلا بعد أن رحل تماما وترك فقط عبق ينتشر في مكتبه وحول مكتبته اختلط بروائح أوراق الكتب ..

وجدت الروب المحبب إليه بمربعاته معلق خلف باب مكتبه وقفت بجواره واحتضنته وتنسمت رائحته لأخر مرة ...

قبل أن تزول الرائحة بشكل أبدي ولن يبقى إلا روائح تنتشر وتتطاير في كل يوم ..

قضت معها سارة ساعات تحاول إخراج روحها العالقة في بوتقة من الأحزان ففشلت ., تحدثت مع روضة والدتها والتي استعادت لغتها الفرنسية في دقائق وانطلقت مع سارة حتى تستطيع اللحاق بابنتها المميزة قبل أن تسقط في بئر مملوء بأشرس الرغبات الدنيوية وهو حب الأب والتمني بعدم الزوال أبداً ..

لم تجدي محاولات سارة .. فانفردت روجيكا الفرنسية بها وكما لو أنها عادت مرة أخرى إلى زمن مر منذ أكثر من عقدين من الزمان ..

ضغط على كتفي بيده الغليظة القوية .. ثم قبل رقبتي ووجنتي وأمسك بشعري يفرك به راحته .. ثم وضع يده على نهدي واعتصرهم بقوة أحسست منها أني أذوب كقطعة شيكولاته أعلى جبل والشمس تضرب بسخونة أشعتها قلبي ودمي .. ثم أوقفني واحتضنني عاصرا ضلوعي داخل صدره .. وخلع عني بذلتي العسكرية قطعة .. قطعة بهدوء متناهي حتى أصبحت كيوم ولدت لهذه الدنيا .. وافترش بظهري المكتب البيضاوي .. ثم زقت منه أحلى شعور للحياة يمكن لامرأة أن تتذوقه .. راق لي رائحة عرقه واقتراب جسده وامتزاجه مع بشرتي ..ارتشفت من شفتيه طعم مازال حتى يومنا هذا في فمي والشعور بأصابعه تضغط على ضلوع ظهري أحس وكأنه ترك علامات لم تزل .. دقائق مرت لا أعرف عددها ... أخذتك منه ولم يعرف حتى , ومنذ يومها لم يمسني إلا من كنت طوال عمرك تعتقدين أنه والدك ...

١٨

مرهقا ولا يقوى بالكاد على السير وهو حاملا روضة على ذراعيه ويقترب من النجع والكلاب تسبقه منادية على الأهل ومن خلفه تسير الأغنام في تناغم وهدوء وشيء ما يجذبها لمتابعة السير بنهم

يدفع الرمال بقدمه وقميصه مبتل بمياه اختلط فيها العرق ما بين جبينه وجسد روضة ليمتزج مكونا طعم غريب وجديد في فمه

يهرول الشيخ عليق ومن يجالسونه من شيوخ القبيلة والنجع وفي أيديهم سيوف عتيقة ورثوها من أجدادهم لا تخرج من مخابئها إلا عند مواجهة الموت لقدسية الدماء التي لامست حوافها

يحاولون حمل روضة عن ذراعيه اللذان تجمدتا على وضع حملها بقوة ولكنه رفض وجمدت عيناه وهو ينظر لوالده بقوة رجل خاض حروب في صحراء العرب دفاعا عن الشرف والعرض

وضعها على فرشته بجوار الباب الثاني لدارهم تحت القبة الصغيرة والتي كان بها فتحة سقف ينظر من خلالها في كل ليلة ويخاطب النجوم والسماء ويرى خيال حبيبته واكتمال روحه التي ولدت بعده بساعات في نفس اصطفاف النجوم لتكمل خلجات الأرق التي كان يشعر بها وتؤنس لحظات تذبذب لطالما شعر بها في كل ليلة عندما يتوسط القمر النجوم

ويزهو بضيائه الفضية اللامعة على عينيه وهو ناظرا دون هوادة ومسترسل في التحليق حول النجوم

فكما أخبروه عندما أطلقت روضة صرخة دخول الدنيا .. هدأت روعته وصمت تماما لساعات ثم نام وراح في ارتياح كما لو كان لم يولد ومازال في رحم أمه

جاء الشيخ جبالي المبروك ووضع يده على جبينها المندى بقطرات من روحها ونظر إلى وارث بعين قوية وثابتة فاخبره بدون كلمات ما يريد معرفته ..

لقد غطس وارث في عمق البحيرة لهاجس تجسد أمام عينيه أن روضة تصارع في أعماق المياه للتمسك بحياة كانت تتمنى لقاؤها في أحضان وارث

على حافة الثغر في جبل الطور كان يحكي لها على امتلاكه لرؤوس الجمال والأغنام والسلاح والعتاد وسيصبح شيخ كبير على جنوب سيناء بكاملها وسيجعلها زوجة الشيخ كالملكة المتوجة ولن يقرب الجبل إنسان بعد ذلك حتى لو حارب جيوش الدنيا كلها , كانت تبتسم وهي تنظر لشكل وجهه وهو يتكلم ويحلم وترى ارتفاع جبينه وتقاسيم عضلات وجهه وهو مزهو بحبها وعشقها وفي كل مرة كانت تخبره أنها ترى أبعد من ذلك وان الزمان والمكان ليسا إلا احتواء ضمني في عقول الناس إنما ما تراه هو انطلاق روحين بلا هوادة في فضاء الأكوان يأتلفان ويتزاوجان بعيدا عن ملك مشوب بأطماع ودرجات تسقط الروح إلى القيود والأشكال الجسدية الفانية

.....

كلما كانت تتحدث وهي معه كان يرى هالة النور حولها ويرى أطياف الضياء تخرج من عينيها وتطير وتتصل بضياء القمر

في معظم أوقاته معها كان ينقبض قلبه بشده ولا يقوى على مقاومته إلا بالصمت الكامل حتى تمر أزمته وكان يطرد الأفكار التي تتزامن مع انقباضه .. كان يراها تطير من أمامه وتصل إلى السماء ثم تلوح له وهي مبتسمة و تجاور القمر وعندما كان يطول شروده كانت تسأله فلا يجيب

بعد ساعات وفي نفس موعد ميلادها رحلت وتركت جسد ابن التاسعة مسجى على فرشته يتلقف منها روائح الألم الذي لن يزول مهما طالت الحياة

في الوادي بجوار الجبل دفنها وزرع نخلة وزيتونة وجلس جوارها

كلما ارتحل إلى الوادي يرعى الأغنام لم يقوى على الصعود إلى الثغر فقط كان يجلس جوار قبرها حتى يأتي أحيانا حمل رضيع ويشم يده مرات عديدة ثم يذهب جريا مهرولا لامه يرتشف منها طعامه

موجات من الحزن تجتاح قلبه وعقله وجسده الذي ينتفض ليلا ثم ويلات من الصراخ من أم روضة بأنه قتلها وسرت الشائعات وانتشرت في كل النجع وأصبح مذموما من الجميع ..

زاره الشيخ جبالي ليلا قبيل الفجر . وأخبر والده أنه لابد وأن يرحل إلى مكان بعيد ليس فيه أي انزواء لشفافية العقل والروح بعيدا تماما عن صحراء قدست في أوقات ولعنت في أخرى

خاف الجميع من بيتهم وأغنامهم وجمالهم وتركت ترعى في الوادي دون راعي وترك البيت ذو القباب الثلاثة بلونه الأخضر حتى اصفر لونه من ذرات الرمال

قيل للشيخ عليق أن وارث أصيب بلوثة من الجن ويجب عليه الارتحال للقاهرة لعلاجه .. ورفضوا جميعا إعطاءه نصيبه من الذهب كشيخ ورب عائلة لدي شيخ القبيلة فارتحل كما ارتحل الناس منذ آلاف السنين

وقبيل الرحيل رافق الشيخ جبالي الشيخ عليق واخبره أن وارث ليس به مرض أو مس وإنما يملك شفافية ليست لأحد وأيضا كانت روضة فلا يشغل باله بما يجري ويقال ... فلترتحل حتى تمر عاصفة من خونة الأرض مع كلابها وعندما تنقى الأرض مرة أخرى فلتعد وسيظهر للناس حق ابنك ثم أعطاه مبلغا من المال نظير ما يملكه من أغنام وجمال قائلا له

- هذا ما يتوفر لدي من مال .. نظير قطعيك وسأتركه يرعى كيفما شاء في الوادي .. وعندما تعود ستجدهم في تزايد فحلال عليك ما سيفيض به الوادي على قطيعك .

ترك القطيع يرعى وهو ملعون من كافة الناس عدد لا يزيد عن ستة آلاف نسمة كلهم لعنوه داخل أنفسهم وتوجسوا من وادي الطور ومن قطيع الشيخ عليق .. احتمت روضة في قبرها بقطيع تزايدت أعداده بغزارة وخرجت في أحيان كثيرة تجلس على حافة الثغر تنظر إليهم في تناغم ووفاق

١٩

في باريس بعد أسبوعين لتتم لقاءها وزيارتها المتبادلة ترتدي فستان فضفاض بها كسرات كثيرة عند الوسط .. وصدر مفتوح يشكل نصف دائرة وعند الحواف تتراقص نهودها البكر ببياض البشرة الذي أصبح يؤثر كل من يراه ليسيل اللعاب ويطير الرجال خلف أردافها التي نمت وتوازنت لتستدير كموديل فرنسي صنعه إنسان طبقا لمقاييس الجمال عنده عارضا عليه موديلات تجذب كل النساء عندما يرونه خلف زجاج محلات الشانزليزيه

لونه الأزرق كان يعكس على وجهها المشرق ضياء تؤجج جمال أنثى مختلفة عن كل نساء الأرض في روحها والذي انعكس بدوره على مفاتن تجعل الأعين تنظر إليها . وبجوارها تسير سارة في نفس طولها ,شعرها الأصفر يتطاير من الهواء دائما وتسقط بضع شعيرات قليلة لتبقى على جيوب البنطلون الضيق الذي يرسم شكل أرجلها بحدة ووضوح لا يترك مجالا للتخيلات وأحلام التمتع بهم .فمن خلف الشعر تشم رائحة فيرزاتشي مخلوطة بتبغ نسائي بطعم التفاح الأخضر يختلط بهواء باريس ليدخل قلبك ويدق عليه قائلا ..

تلك أنثى يجب أن تنالها

كانت تحلم أن ترتقي بروحها إلى السمرلاند مباشرة متخطية الجحيم والرغبات في قفزة واحدة .. ولكن خلاصة نقاش وحوار دار بينها وبين سارة لمدة أسبوع كامل اقنع سارة بأن تعشق رائحة نيل القاهرة وعبق التاريخ والحضارة التي

إذا ما ذكرنا علم وجدناها سبقت الكل وحللته بطريقة هي الأقرب إلى الفهم الإنساني ... هذا ما حدث منذ أكثر من عشرون عاما مع أنثى اسمها روجيكا كانت تنطلق في الدنيا كفرسة جامحة تضرب بأرجلها عشب الوديان ولا تستقر في مكان محدد بل كانت تتخيل أن الدنيا كلها حيزت لها .. وفضلت الاستمتاع لنفسها بمثيلاتها وتركت متعة أخرى جربتها لرجال تريد منهم ما يسعدها .. والمرة الوحيدة التي امتزجت فيها بروح عميقة أثرها كانت يوم التقطت ضحى لتكون أنثى مثلها طافية فوق كل مياه الدنيا ..

خافت وانتفضت وأبلغت ابنتها بكل ما حدث قبل أن تفقد روحها هي الأخرى حزنا وكمدا على فراق مرشدها وصاحب راحتها النفسية تخيلته سبب وجودها في الدنيا فالتصقت به وتشربت منه كل علمه .. ولكن آلم الإفضاء بسر بات سنوات طوال مدفون في خلجات الماضي اخف آلاف المرات من آلام افتقاد أغلى ما يترك الإنسان في الدنيا .. صاحب السر قد اغتيل قبل حتى أن تولد وترى الشمس في هذه الدنيا ومن عرفه اغتلته أنا بالسم وبقى أسابيع يصارع هواجس وأحلام جرائمه التي اقترفته يداه بدفع من شرور نفسه وفيه أيضا استشفاء من فقد من أعطاني سعادة لم أرها, فقط ترك لي جزء منه هو الأغلى على قلبي وعقلي ودنيتي .. والأب الذي تربيت في أحضانه سنوات أوصلت له السر بغير الكلمات وقد تفهم وأرسل من قلبه قبل عقله رسائل حب غير مبرر .. فلا يحق لي الآن الاحتفاظ به بل بحت به حتى يكون هذا عامك الواحد والعشرون وانطلاقك إلى الدنيا كيفما تريدين وتبحثين

سمعت سارة ما تم وهي تقف خلف الباب ترقب ما يقال من روجيكا لابنتها ثم تحاورت معها وأخبرتها أنها مثلها في شبابها تهوى النساء في الإفضاء بمتعة غريزية زرعت داخل

نفسها وأن روحها لا يجب أن تلوث بماء رجال لا تعرف أين سيكونون بعد دقائق من ملاقاتها ..وكانت البوح بالسر هو السم الذي شفى ضحى من أزمة نفسية طاحنة كانت من المؤكد ستقضي عليها كاملة .

واستغلتها سارة في البدء مع ضحى الارتقاء من أول مستوى للسمو الروحي مرورا بالإلمام بسعادة متوفرة وحول الناس كلها وهي المعيشة البائسة الاستمتاع بالأكل والشرب والخمر والملذات كلها ..

ربما كانت تفضي سارة بما تأخر واستكان في نفسها من خلال إسقاطه على ضحى .. واستمتعت ضحى بكل إسقاط من سارة وجربت كل ملذات الحياة في مجتمع مادي يبحث دائما عن تجريد كل شيء إلى شكل يلمس بالأصابع وتراه العين المجردة ..

حتى وصلتا إلى الإفضاء بنفسيهما إلى نفسيهما واستمتعا كثيرا بالتلذذ بجسد أنثى لم يمسه إنسان غيرهن ..

وأصبحتا رفيقتين في كل دقيقة وكل يوم .. وتلونت في أعينهن الدنيا بألوانها السبعة كلها .

التحقتا بالسوربون للماجستير وأصبحت ضحى فرنسية الحياة بشكل كامل ومجرد .. شعرها الأسود لمعت خصلاته على خدودها وبرز النهدين يرتسمان تحت بلوزة بيضاء قطنية ترتسم حلماتهم بشكل دائرة كاملة وتبرز للأمام في دعوة للناظر بأن تلك النهود لم يمسها رجل .. وتحتها بنطلون أزرق اللون من الجينز القطني يلتصق بأرداف لا يقوى على تجحيم سيولتهم عندما تتحرك .. ليبرز ما بين رجليها تقسيم منتظم ومتساوي يخطف القلوب الجوعى لارتشاف ما اختطفه وارث منذ عقدين من الزمان من أمها والتي ورثت ذلك الجمال

الخاطف منها بكل تكامله .. عينيها براقة بالاندفاع نحو البحث عن مستقبل لكل من يسبح فيهم .. تحمل مظروف أخضر اللون ومدموغ به تقارير كتبتها عن أناس يسمونهم مرضى رغم رفضها كأول باحثة لتلك المسميات والتي طلبت أن يكتب أمام الحالات التي تدرسها متفرد بكذا لا مريض بكذا .. أعجب أساتذتها برؤيتها وروعتها واستشفافها لأشياء يبقون شهور يدرسونها ...

حصلت على الماجستير وعرض عليها العمل والحصول على الدكتوراه بشروط لا يرفضها طالب علم أبدا ولكن ما لم يكونوا يعرفونه أنها ليست طالبة للعلم بل هو متوفر داخل روحها وهي تحاول اكتشافه في كل يوم وليلة

سنتين كاملتين مرتا عليها في مرحلة الحياة البائسة ترتشف كل المتع اليومية وتجرب وتحاول وتختار

قبلت عرض مركز الإدراك الدولي للحصول على الدكتوراه منه .. وتم تخصيص ثلاث حالات فريدة مصابه بانفصام في الشخصية لها..

الشخصية الأولى كانت طفلة عمرها تسع سنوات وتعيش في خضم هلاوس وتخيلات متتابعة لأكثر من اثنين وعشرين ساعة في اليوم وباقي اليوم تستعيد فيه شخصية أخرى على الأغلب هي شخصيتها الأصلية وتنام ما لا يزيد عن نصف ساعة يوميا وفقط في الأيام التي لا يكون فيها هلال أو قمر حتى وإن كان في المحاق .

والشخصية الثانية كانت لأنثى جميلة تبلغ من العمر ثمانية وعشرون عاما ملامحها إذا ما أزيلت عنها السواد والألم وعلامات السهر المتواصل لوجدناها قريبة الشبة بضحى لديها انفصام في الشخصية مشوب بوسواس قهري ملازم للحالة

معظم سعات اليوم وتقريبا لا تستفيق أو أنها تلازم وسواسها وتلتصق به

أما الشخصية الثالثة فكانت لرجل عمره اثنين وأربعون عاما ممتلئ الجسم وفارع الطول ملامحه أوروبية كاملة يلازمه انفصام كامل ووسواس وظلالات متكررة لأكثر من شخصية في وقت وأحد ولا يستطيع مقاومتهم بل على العكس هو في معظم أوقات اليوم يعد نفسه لاستقبالهم .

٢٠

في نقطة محدد على ارتفاع محدد في الجبل وبزاوية ميل معينة تحدث تلك الموجات وتتصل بترددات معينة خاصة بخط سير الأكوان في الفضاء الفسيح ولأن الأكوان كلها مترابطة بسياق ودورة عمل محددة وبدقة لا يقدر على فهمها البشر فانه عندما يتداخل عقل إنسان في منظومة من تلك الترددات يرى أحيانا ما سبق من ماضي أو ربما ما سيحدث مستقبلا فتاريخ الكون مكتوب ومرصود وفي حالة الشفافية الادراكية للعقل الباطن يرى الإنسان ما يرى والذي غالبا ما يكون مرتبط بحياته كاملة وخصوصا إذا كان هناك حدث ملح ومؤثر بشكل قوي على عقله الواعي فعندما تخرج موجات الكترومغناطيسية من العقل الادراكي حوله تتصل بسلسلة من الموجات الالكترومغناطيسية التي تولدها الصخور التحتية في أعماق البحر ومن هنا يتصل العقل بعالم آخر لا يدركه الإنسان أثناء اليقظة والوعي .

الجميع يتخيلون أن المرضى النفسيون مرضى بأشياء معينة مثل الأمراض العضوية والتي تنتج من فشل الكبد مثلا أو ضعف عضلة القلب أو دخول فيروس ما إلى داخل الجسم .. إنما الأمراض النفسية إذا جاز التعبير تسميتها أمراض هي نشاط متدرج ومختلف في العقل الادراكي الباطن داخل الإنسان وتلك الأنشطة لها تأثير على العقل الواعي واليقظ والذي يظهر بالصورة التي نراها مثل انفصام الشخصية وما شابهها ولكن الاستبصار والرؤية الغامضة لما حدث أو يحدث أو سيحدث هو نوع من أنواع التفوق العقلي والإدراك الفوقي

الذي يجب علينا دراسته وبحثه والتدقيق فيه للاستفادة من الإمكانيات الادراكية الفوقية للبعض

هكذا شرح البروفيسور نظريته لما اكتشفه في وارث الطفل ابن الثانية عشر وهو يقف جوار والده ويقرأ أفكاره قبل أن ينطق بها عندما كان يبيع بعض الأثاث القديم لديه للشيخ عليق

والذي جعله يطلب من الشيخ عليق أن يزوره وارث كل مدة

.....

تحدث معه الاثنين باستفاضة حتى لاحت لهم فكرة الاستفادة منه في الاستقلال بجنوب سيناء كوادي مقدس بشكل لن يفهمه الكثيرين وبعد عرض الأمر على القيادات العليا تم اتخاذ القرار بعد دراسة استنفذت خمس سنوات في مركز عالي السرية به عباقرة من أصحاب الدراسات في مجال الطاقة الصادرة عن العقل الباطن والواعي للإنسان . وتم وضع وارث تحت مراقبة مستمرة دون شعور أو إدراك منه انه مراقب أو تحت الاختبار في تجربة ما .. لم يكن يفهم ما يحدث له وإنما كان يستمتع به ويطير في الإحساس بلذة العشق الذي حرم منه ولطالما تاقت روحه إليه متجسدا وممثلا في كيان روضة

.....

في عام ١٩٧٩ م دعوة من إدارة الكلية للطلبة المتفوقين في أقسامهم بكلية الآداب وتحديدا أقسام علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة لحضور مؤتمر دولي يحاضر فيه أكثر من

بروفسيور في الفلسفة وعلم النفس وعلى رأسهم جان بول سارتر رائد الوجودية الحديثة والكاتب والمؤلف المخضرم

دارت النقاشات وكثرت الأسئلة وكان في وسط الصفوف شاب نحيف البنية يجلس وكله تركيز على كلمات ونظريات سارتر في الخلف حتى طلب الكلمة لنفسه وتناقش مع سارتر حول مفهوم العدمية الذي يتبناه ويعتبره منبره الفكري في توصيل أفكار للناس ..

قال سارتر .. الإنسان في وجوديته الكاملة في الحياة لا يدرك مصير معين ويبقى دائما تواق للوصول لشيء ما .. مما يجعله دائما في صراع وعذاب فكري نحو الوصول لما يرغب وهو الذي يفكر ويخطط ويسعى للوصول لما يرغب وبالتالي كل المؤثرات التي تحيط به تتأثر في ذاتها بفكره وحركته ومن ثم تتكون بناء على رغباته ومن هنا يكون الإنسان موجود لذاته يتأثر مستقبله بمحاولة محو ماضيه في السعي لتحقيق شيء ما وهو غالبا اللذة والشعور بالسعادة الكاملة أثناء الحياة وهو بذلك يحاول اللحاق بها دون الوصول بشكل مستمر مما يجعله يصادف العدم الذي يقبع في صميم تكوينه الداخلي فيجعله أداة هدم

إذا إنه بذلك يحول بينه وبين التطابق التام مع وجوده الكامل .. فالأمر كله رهن بمشيئة الفرد وإرادته الحرة يخترع قيم ومبادئ للمجتمع الذي يعيش فيه على اعتبار أن وجوده سابق لأي شيء من الجائز أن يوجه فكره وان الأفكار التي ترسخ في العقل الانصياع لأوامر معينة وضوابط محددة تحدد طريقة حياته ومعيشته .تهدف بالدرجة الأولى لتقييد الحرية والسيطرة على وجوده المطلق .. فهو ليس موجود في ذاته مثل الجماد لا يسمح لشيء باختراق ذاته أو الامتزاج به بل موجود بذاته الخاصة يؤثر ويتأثر ويبحث دائما عن شيء ما

مما يجعله صاحب دوائر الحركة والتي تؤثر بطبيعتها على العدم المطلق

.....

وقف وارث ومن خلفه موروث يحاول إبطاء حركته أو تحيده عن الوقوف والنقاش مع بث أفكار مفادها ما فائدة النقاش فمبدأ هذا المفكر له التواقين له والمقتنعين به من كل العالم بكل الخبرات لدرجة أنهم جعلوه نبيهم لهذا العصر ..

ولكني اختلف معك أيها البروفسور... لقد كفرت بكل شيء وليس لدي ظن أو شك بثوابت البشرية التي يعتنقها معظم البشر فالإنسان ككل .. كتلة مستقلة بذاتها تبحث لنفسها عن التطور دائما . ويترتب مستقبلها بناء على أفعالها وحركاتها وأفكارها وبذلك يدور الإنسان في حلقة متصلة بذاته الخاصة باحثا هدوء ما وماهية ما يقتنع بها ويشعر من خلالها بالسعادة .. ومن هنا تكون العدمية .. الإنسان كجسد مادي له روح والروح طاقة عند فناء الجسد تتحرر الطاقة تدور وتطير وتبحث لنفسها عن استرداد في شكل آخر هذا إذا ما كان الجسد لديه أماني لم يحققها أو لديه شيء يربطه بالدنيا ولم يناله ومن هنا تعود الروح إلى جسد مرة أخرى لتحقيق ما لم يستطعه الجسد في المرة الأولى وهكذا باستمرار دائم

إن الله ليس موجود على العرش بعيدا عن كل الدنيا وما فيها فقط وتحديدا الإنسان وذاته بل هو بداخل كل إنسان لان الإنسان ذاته الخاصة جزء انفصل بشكل مؤقت في زمان معين ومكان معين والزمان والمكان ليست ثوابت لتحجمه وإنما تجربة يمر بها لينتقل إلى تجربة أخرى حتى يشعر بالسكينة ويرتد إلى الكيان الأكبر والضام والشامل ومن هنا يكون الإنسان نفسه وذاته .

٢١

مضت أكثر من يوم وليلة تقرأ الملفات بدقة وتركيز متناهي ولم تجد بدا من اقتراح طريقتها ورؤيتها في الدخول إلى عالمهم بنفسها ربما تستخلص لنفسها طريق للوصول إلى ما ترغب وعرضت على البروفسور ألبير مدير المركز والمشرف العام على بحثها فكرتها في نكز الأنفس واستشفاف هل الطرائق لكل منهم ربما ترتبط فيما بينها في الصعود إلى عالم آخر أم أن كل منهم يعيش في عالم يخصه وحده .

وافق البروفسور ألبير على فكرتها في البحث .. فربما تصل بهم إلى نتائج يستفيدون بها منهم فسبب نقلهم إلى المركز هو ارتقائهم في التوصل والاستشفاف الروحي لأشياء ربما ستحدث في مكان ما ولأسباب معينة .. وكانت تقضي طريقتها بجمع ثلاثتهم في حدث وأحد ومكان وأحد وزمان وأحد وفرض مؤثرات معينة في نفس الوقت على جميعهم .. ومحاولة تتتبع ردود الفعل مهما كانت بسيطة أو غير واضحة ..

عند قيامها بالإعداد لأول جلسة طلب البروفسور ألبير والباحثة صديقتها متابعة عملية الأعداد ومراقبتها من خلف زجاج غرفة الجلسات .. والتي كانوا يقضون فيها ساعات مع الباحثين وبعض المتعاونون من أصحاب القدرات العقلية في محاولات متكررة ومستميتة للنفاذ داخل أوضاعهم الروحية الخاصة جدا ..

تقرير عملية الإعداد الأولى في يد البروفسور والذهول أو الاستغراب يرتسم على وجهه شديد الحمرة وعيناها تقرأ الكلمات والحروف بتركيز متناهي من خلف نظارته الطبية المربعة ورماد تبغ البايب الخاص به يتطاير أحيانا على الأوراق لينفضه بنفخة من فمه ويكمل قراءته

- تريدين إنشاء حديقة معينة بشكل معين داخل أسوار المركز ومدها بأضواء وتوربينات هواء ومضخات مياه ؟

- نعم

- ولكن غرفة الجلسات مجهزة بالفعل ومجردة تماما من أية ألوان سوى الأبيض الناصع حتى تستحث الأنفس

- لي رأي مختلف .. فالطبيعة التي خلقت قبل الإنسان بملايين السنين وجد نفسه فيها وتأثر بها واستخدمها وطوعها لخدمته ورأى بعينه مواطن الجمال فيها واختص بها لنفسه .. فامتداد الخضرة في ألوان الحشائش بطول وادي كامل أعطى للإنسان انطباع بالهدوء والصفاء ورؤية انسيابية المياه النقية في جدول صغير تشق الوديان أعطته إحساس باستمرار حياته وأشعة الشمس التي استمدت منها الطبيعة روحها لها تأثير فسيولوجي مسجل على شعور الإنسان نفسه .. ومن هنا أنا أريد تحريك بواطن النفس العميقة والتي ترتبط من وجهة نظري بشكل ما بروح كونية أعلى واشمل تضم في داخلها كل أرواح البشر والتي غالبا مسجل بها ما يؤثر على كل الأرواح مهما طالت السنوات وتوالت الأعمار..

- رأي يحترم .. وسأتحدث مع اللجنة العليا لاعتماد التكاليف المطلوبة ولكن يجب أن لا تغفلي أن الثلاث حالات يشتركون في انفصام الشخصية الحاد وليسوا مجرد أصحاب قدرات روحية أو عقلية مميزة أو غير مألوفة والفصام له

مجلدات من البحث والدراسة وسياسة المعهد تلزمك بإتباع مناهج الباحثين السابقين وآخر نتائج توصلوا إليها و إلا ما فائدة السنوات والأموال التي صرفت من اجل التوصل إلى نتائجهم

- انفصام الشخصية .. طبقا للتعريف العام لا ينطبق على تلك الحالات كما هو واضح تماما من التقارير بين يدي وطبقا للنتائج التي حققها الباحثون من قبلي ولكن لي رؤية مختلفة .. اجمع كل الباحثين السابقين على أنهم متفردون ولهم قدرات غريبة غير واضح منبتها ولكنها مرتبطة بالعقل الباطن بشكل كامل .. وهذا أنا لا اختلف فيه ولكن أزيد عليه أن تلك القدرات والاستبصار ليست مجرد أعراض أخرجها العقل الباطن وسيطر بها على الوعي والإدراك فأصبح ذهان أو حالة فصام تدرس طبيا فقط بل يجب أن ننظر بعمق أكثر أي إلى الروح .. كثيرا من الأبحاث حاولت التوصل إلى ماهية الروح ولم يتمكن أي عالم من التوصل لأي نتائج ملموسة تفسر لنا ماهية الروح نظرا لان كل الدراسات كانت تعتمد في نظرياتها على الجانب الفيزيقي أو المادي الملموس بينما هناك أشياء لا تراها العين المجردة للإنسان ونحن بنينا عليها علوم كاملة مثل ميكانيكا الكم للذرة فلم يرى أي عالم الذرة رؤى العين وحتى الكترونات الكهرباء لم يرها أحد من قبل ولكننا عرفناها من خلال التأثير الملموس للطاقة المتبادلة بين الجسيمات وأنا أرى أن الروح لا يمكننا قياسها بشكل مادي ولكن نرى تأثيرها أمام أعيننا ..

- قرأت في ملفك أنك مسلمة

- نعم ومكتوب في خانة التوضيح أني أوافق على تطبيق أساليب طبية وعلاجية ربما تتعارض مع عقيدتي الدينية .

- ممتاز ولكني استشعر هنا انكي تميلين لاستخدام رؤية الإسلام في مسألة الروح وهي أنها شيء غيبي لا يمكن دراسته

- على العكس الإسلام وضح الكثير عن الروح وقال ببساطة أن الروح شيء غيبي يتبع من خلق الكون وما فيه وهو الله الخالق العظيم وأننا لم نحصل من العلم إلا قليل جدا مما هو متوفر ومعلوم لمن خلق كل شيء وها هو العلم في كل يوم يتقدم وتدحض نظريات وتقام نظريات عرفها المسلمون من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم منذ أكثر ألف سنة

- ماذا قال عن الروح ؟

- هذا موضوع كبير جدا وتم تدارسه كثيرا.. لدي كتاب مترجم سأعطيه لك ولنا نقاش فيما بعد قراءتك .. والآن هل توافق على تطبيق نظريتي ؟

- أوافق طبعا وسأتحدث مع اللجنة غدا لاعتماد المطلوب .. ولكن لابد من إعطائي خطوط عامة لنظريتك لفهم طريقة العلاج ..

- بعد كل هذا الكم من التطور العلمي والتقني لم يستطع الإنسان التوصل لإمكانيات المخ كاملا وإذا تم اكتشاف جانب من أهميته .. لم يتمكن العلم حتى يومنا من فهم العقل الكامل ومن أين له بكل هذا الكم الهائل من المعرفة والقدرة وحتى الجسم البشري لم يستطع العلم استكشافه بالكامل نظرا لان الجسم البشري ماديا وعلى طاولة التشريح لا يمكن معاملته كاله تعمل وتنتج فقط بل هناك غوامض كثيرة جدا لم تكتشف واعتمادي هنا وطبقا لنظريتي أرى أن للمخ البشري إمكانيات وقدرات خارقة ترتبط بالعقل الباطن الذي هو اعم واشمل من العقل الواعي وتلك القدرات لها نفاذية خاصة أثناء النوم تلك

النفاذية هي ارتباط الروح بروح أعم وأشمل وأعظم والمسماة ماديا العقل الكوني وهذا العقل الكوني هو ما يدير الكون بكل ما فيه وله إطلاع على الماضي والحاضر والمستقبل وطبقا لنظرية النسبية الكبرى لأينشتاين فانه يمكن السفر عودة للماضي وربما التأثير ليتغير المستقبل .. نظرا لاقتناعه بان هناك عقل كوني ترتبط به كل الدنيا منذ الخلق الأول وحتى الآن .. وأنا أريد حث تلك النفاذية لعقولهم أثناء تجربة النوم للتوصل لمصدر الإلهام أو معرفة كيف يستقبلون تلك المتغيرات العقلية والادراكية .

عندما انكبت ضحى على قراءة الملفات وجدت خطوط تربط الثلاثة ولكنها غير مفهومه للجميع .. الثلاثة سجلت لهم أثناء الجلسات كلمات منفصلة وغير مرتبة عن لون اخضر يانع وأشجار وورود وألوان ثمانية ومياه تجري وشمس تدور وجمال خلاب يراه الحالمون بالجنة ولكن بشكل غير مترابط وغير منظم ..

ومن هنا أدركت جيدا أنها عندما روضت نفسها واستطاعت اختراق حاجز العقل الباطن إلى مستوى اتصال عالي جدا ستتمكن من خلق حياة خاصة بها تشعر فيها بسعادتها الخاصة دون الاحتياج لأي إنسان وعندما قرأت التقارير رأت بعين داخلية تجميع للكلمات في شكل جمل متناسقة بين الثلاثة مجموعها كالتالي ....

- صنعت لك جنة بها ورود وشلال وخضرة والمياه تدور من حولنا

- تلك سعادة طالما تاقت نفسي إليها .. ولكنها لم تكتمل بعد

- سأرحل أنا وأنتظر في الثغر حتى تجمعنا الكارما

تلك الجمل أعادت على مسامعها كلمات روضة الصغيرة عندما التقت بها منذ زمن وجعلتها تصفي ذهنها تماما أثناء جلستها في محاولة للعبور إلى مستوى السمرلاند الذي من اجله جاءت إلى فرنسا وما أن ارتقت وعبرت من باب أفقي لونه ارجواني ضخم وبه نقوش كثيرة وجدت وارث ينظر إليها وهو مبتسم وبجواره ضحى ومن بينهم تقف روضة الصغيرة والتي امتد طولها وأصبحت أنثى مكتملة ومن خلفهم على بعد البصر يجلس الرجل الذي رباها على مكتبه من الأبنوس العاجي وعلى فخذه تجلس أنثى ثلاثينة تشبه أمها

وقفت والحيرة تتناقل ما بين عينيها ترى منزل له قبة وباب وأحد وعدة شبابيك دائرية ومن خلفه أربعة منازل أخرى لها نفس الشكل مع اختلاف لون الباب لكل منهم .

٢٢

استفاق ورفع جفونه في صعوبة ونظر بهدوء متناهي لا يقوى على حالة الخدر التي دبت بأوصاله كلها لا يشعر بأي جزء من جسده وإنما هو مدرك لكل شيء ويرى أمامه سقف ابيض ليست به أية علامات أو زخارف فقط بياض متواصل .. استقوى على جزعه واعتدل ولم يشعر بتقلص عضلاته أو انحناء عموده الفقري فقط يشعر بالجوع الشديد ودوائر من الصداع المتناوب في مقدمه رأسه وخلفها .

نظر على يمينه وعلى شماله لم يجد شيئا فقط لون ابيض ناصع اعتدل أكثر ووقف على رجليه

جسده عاري تماما كما خلق ويقع في وسط شيء ما لونه ابيض تحرك بضع خطوات للأمام التصق بالحائط

دق بيده عليه نظر للخلف .. دق مرات متتالية لم يسمع صوت طرق يديه فقط امتص الجدار كل دقاته ولم ترد إلى أذنيه ذبذبات بضياع وضعف الصوت بشكل تدريجي

رائحة تشبه البنزين ولكن لها طعم حارق في آخر بلعومه .. ثم غياب تام .

يجلس بجوارها واضعا يده اليمنى على جسدها الصغير.. ويبكي دموع يشعر في داخله بطعمها المر والمالح قبل أن تسقط من مقلتيه .. يشعر بنبض من قلبها ويتلمس حرارة تسري في جسده كلما ضغط بيده على كتفها ولكن أيضا يشعر بقطرات تجري داخله وتلهب معدته من لهيب سخونتها .. كانت دموع فراقها تنساب ليس خارج مقلتيها الصغيرتين

وإنما إلى داخل قلبه لتكوي أيامه بشعور الفراق الذي سيلازمه باقي أيامه .. ثم ابتسامة دامعة وهي ترتفع إلى عنان السماء .

هكذا رأي نفسه جوارها واستلذ لمجرد رؤية جسدها الصغير حتى وان كان بلا حياة أو نبض أو صوت فقط يريد رؤيتها ويملئ عينيه من صورتها التي لم تغب أبدأ عن مخيلته ..

بعد ساعات .. سقف منقوش برسومات غريبة وله لون أصفر وشباك زجاجي كبير مقسم إلى ثلاثة أقسام طولية وعرضية ومن خلف الزجاج كانت أشجار صنوبر وارفة فياضة بالخضرة والأمل والهواء يداعب وريقاتها في حنو وأشعة شمسية تخترق تلك الأغصان لترسم هياكل للأشجار تتحرك كلما داعب الهواء الشجيرات وتراقص معها

صوت صرير ممتد مازال في مؤخرة رأسه يستمر وهو يتضاءل كلما فتح عينيه أكثر كصدى صوت يشتته الهواء على صدر الجبل

- ها بما تشعر؟

- ألم في رأسي ولا اشعر بجسدي

- كلها ساعات ويزول الألم وستتمكن من التحكم في جسدك بمجرد إعطائك تلك الحقنة

- أين أنا ؟

- مركز البحوث الادراكية في باريس ألا تذكر يوم انضمامك لنا ؟

- نعم ... نعم ولكن ألم يكن منذ ساعات ؟

- لا يا وارث منذ ثلاثة أيام .. عقلك لم يستجب لعمليات الاستعادة السريعة فلم نجد إلا الانصياع لطبيعة الرغبة الباطنة لديك ولو تم التدخل أو محاولة فصلك عن رحلتك فربما كنت ستفقد الحياة كليا .

- يا ليتني فقدتها وبقيت هناك

- أين ؟

- في أكثر لحظة عرفت من خلالها معنى الحياة والوجود

- وهل تستحق أن تترك حياتك من اجلها ؟

- بل تستحق ملايين الحيوات التي لا قيمة لها ولا تقدر أيامها .

- هل يمكنك تذكر ما حدث ؟

- أتذكر كل شيء بدقة متناهية ولن أفصح عن ما رأيت فمن اجله تعاونت مع البروفسيور ياكوزا وكنت مستعد للموت ولا يهمني أبحاثكم .

- لك ما تشأ وبعد ساعتين ستقابل البروفسيور ياكوزا وسارتر وآخرين .

يرتدي جلباب ابيض فضفاض ويجلس على جلسة أعدت من أغصان شجر السرو ومن حوله أشجار من فواكه مشكلة ومختلفة وتتلون الأغصان بخضرة الأوراق وسباعية الألوان كما لو كان قوس قزح وقد نثرت ألوانه داخل الأغصان لوحه جميلة تجذب الأعين وتخطفها وبلابل تغرد وعصافير تزقزق في تناغم مستمر ونسيم من هواء بارد يمر على الوجه وينعش

الأحلام والأيام فإذا أردت أن تطير إلى سماوات الفضاء فلتخرج في خضم هذا الجو وتعود دون وعي .

رفع رجليه من نهر صغير ماءه دافئ يشفي خلجات المرض في الجسد ونظر عاليا ودقق ثم نهض من جلسته وأنتصب منتظرا قدومها في هدوء تنظر إلى تلون الثمار والأوراق وتسمع تغريدات الطيور تسير عكس تيار المياه في الجدول الصغير وبخار يتطاير من حولها ..

ثم استشعرت أنفاس قد عليت تبادلاتها وحرارتها لامست خدها البهي بنظرة البكر التي لم ترى ولا تمس بشر

دون كلمات .. التقى الوجهان والقلبان والروحان .. جلسا سويا متكئين جوار جذع شجرة ضخمة بها نتوءات وخلجات كبيرة ومتراكبة .

زرقة عيونها الأخاذة بنقاء اللون ذاب فيها سابحا وباحثا عن أيام راحت من بين أصابعه ولطالما تاقت روحه للبحث عن رائحتها وتنسم عبير من ساعة عصاري بنقاء هواء الجبل المخلوط بطهارة مياه البحر .

ترتدي جلباب من كتان مطرز عند الأكمام بجمل متراكبة ومتصلة حروفها وفي الجلباب وهي بين يديه وعينيه تتجسد تضاريس أنثي دائما ما زارت كل البشر في أحلامهم .. ثابت فاي الذي اكتشف أواخر القرن العشرين صمم على تقاسيم جسدها الطول والعرض وتناسب اللون والملامح كل شيء كان بميزان جمال يسحر من يراه .. رآها في عينيه وروضة وقد كبرت

- أنا ضحى .. أبحث لنفسي عن سعادة لا يستطيع البشر احتوائي واحتواءها

- أنا أيضا كنت ابحث عنك منذ عرفت عيني معني النور

- أشعر وكأنك كنت دائما معي

- كل لحظة وكل نبضة من نبضات القلب كنت معك ارتشف جمال وارتقي بذاتي إلى درجات لا يعرف عنها البشر

- أنت هو من ضمني يوم بكيت أيامي من عيوني لفراق إنسان عشقت معه أيام لم تأتي

مرت الساعات وهم في تزاوج روحي يتبادلون عبق الحياة فيما بينهم وشمس الغسق تلازم جوهم لتنشر لون الذهب حولهم ومياه الجدول تتهادى في خريرها ومن كل اتجاه كانت بلابل تردد ألحان فلا كانوا يسمعون حتى صوت أنفسهم وهم يتبادلون الشفاه وقت ارتشافها ..

غاص بنفسه داخل روحها وارتشف الدنيا كلها . كل جمال يؤثر القلوب كان أمام عينه .. لم يدرك لكم كانت لحظاته فهو لم يشعر بزمن

- كل الأجهزة تخبرني أن هناك قراءة عالية جدا لموجات تتردد داخل الغرفة ٢٢ حتى بعد إيقاف النابض الرئيسي في عمق البحر

- ولماذا لم تخبريني يا روجيكا

- لم أكن متأكدة وفضلت تسجيل حركة التموج حتى يتم دراستها فيما بعد فانا لم أقابل شيء مماثل من قبل

- ألو .. بروفسيور ياكوزا

- نعم

- فلتحضر حالا إلى مركز الرصد

- ماذا هناك ؟

الخطأ لديك أيها البروفسور كان يجب أن تخبر روجيكا بالوضع الخاص ل وارث فمن المؤكد أن هذا كان سيحدث .. فمرحلة الالفا لديه حاضرة بشكل قوي أو هو يستطيع فعلا إحضارها وقتما شاء بل انه في ظني أيضا يستطيع العبور إلى مرحلة زيتا بسهولة ويخرج وقتما يريد فارتباطه بالعقل الكوني شديد ومتصل وليس من السهل السيطرة على عقل يتواصل مع العقل الكوني من نافذة رسمية مفتوحة دائما وقد اعتادت أطرافه على القفز من خلالها .

وما الحل .. ؟

لا يوجد وإنما السير في برنامج الجنرال كوفي بشكل منظم لأننا لا يمكننا التحكم أو السيطرة على عقله الباطن كما تصورنا وبالتالي ليس أمامنا إلا تنفيذ البرنامج الميداني ودفعه ذاتيا للإبحار فيما يرغب فيطمع في الوصول لأهدافه ويمكننا مما نريد

- الو جنرال كوفي
- نعم
- لديك الضوء الأخضر لتنفيذ المخطط الميداني
- شكرا جزيلا .

٢٣

يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ م وفي تمام الساعة ١٢,٣٠ ظهرا .. أعلنت هيئة المسح الجيولوجي عن زلزل بقوة ٣,٢ رختر قد ضرب شبه جزيرة سيناء وتحديدا في منطقة الجنوب وسقوط في اتجاه البحر ولم ينجم عنه أية خسائر في الأرواح ..

تم قطع الخبر من الإذاعة لإذاعة بيان كاذب عن محاولة اغتيال الرئيس السادات ..لتهدئة جموع الشعب قبل أن تنهار الدولة عبثا ..وبعدها بأربعة ساعات تم الإعلان رسميا عن اغتيال الرئيس السادات

في تلك اللحظة حدثت شقوق ضخمة وتشققات في الأرض نتيجة الزلازل الذي ضرب المنطقة اليوم ولم يعلم عنه أي إنسان أي شيء ..

شق صدعي في طبقات أرضية من الصخور التحتية وعلى عمق أكثر من ٣٠٠متر في باطن الأرض وبامتداد ٢٤٠ كيلومتر بداية من جبل العقبة شرقا وحتى السويس غربا وبعد ستة أيام فقط من حدوث الزلزال تواصلت مياه البحر وغمرت الشق الذي تزايد واتسع بفعل المياه والحركة لتصبح جنوب سيناء جزيرة تحيط بها المياه من كل اتجاه ثم انزوت قليلا إلى عمق البحر الأحمر لتبتعد ويتغير طقسها فجأة نتيجة حركة الضغط الجوي مما اسقط أمطار كثيفة ومتواصلة غسلت الجزيرة بكاملة وركدت المياه في بحيرات تجمعت في مناطق مختلفة .

يقف وارث في منتصف ارتفاع الجبل ملوحا بيديه حول الجزيرة كلها ينظر للشمس وهي تغيب في ظل الجبل بعد أن تغيرت زاوية أشعتها على وجهه .

نظر خلفه وابتسامة تأكل وجهه وتبرز من خلالها انفه المدبب فاردا يديه لها .. وضعت فيهم كفيها وتحركت نحوه وقفت خلف ظهره والرعب يتملكها , يتطاير جلبابها الملكي المطرز أمام اندفاع الهواء ويشكل موجات متتالية في فرح كما لو كان طائرا يلوح بجناحيه

- من أجلك فعلت ذلك, خلقت لك ارض لك وحدك

- دموع ثقيلة شفافة تنساب على وجنتيها

- يضع كفيه قبل أن تسقط فهو يرى دموعها أغلى من الأرض التي اقتطعها من الدنيا

- ملكة أنت كما وعدتك واليوم لنا ما كنا نحلم به وها هي قطعاننا ترعى منذ سنوات ولم يقربها أحد ومازالت تقبع جوار القبر

- مليكي أنت ودنيتي التي لا تحتويها كل قلوب البشر

.....

لا يوجد على وجه الجزيرة كلها إنسان سوى أنا وأنتي فقط تهيم روحانا كما شئنا

ذابت حبا وعشقا في كلماته ونزعت عن نفسها جلباب من صنع البشر وهكذا فعل هو الآخر وعادا مرة أخرى إلى طبيعتهما الأولى التي خلقا عليها .. لا يوجد إلا روح وكيان وجسد يحتويهم وعند تلامسهم كانت تختفي الأجساد وتصبح بغير زى تأثير .

مرت شهور من أيام الدنيا , وتلونت الجزيرة القاحلة بأشجار ازدانت بثمارها المختلفة نبتت من الأرض صنوف وألوان من طعام وفواكه وتنوعت أشكال الحياة على جزيرتهم وجاءت طيور ملونة تشدو أغانيها على سفوح الجبال الوارفة بخضرة يانعة ,فاضت البحيرات بمياه من عمقها

وعاش سنوات متتالية أنجب فيها سبعة من نسله .. هاموا في جنتهم الخاصة وتمتعوا بكل خيراتها

عشر سنوات مرت الآن ويجب عليه إتمام اتفاقه مع كوفي الجنرال المسمى سرًا النافث ., ويجب عليه لقاؤه حول البحيرة المسحورة ..

قمط شال قطني على رأسه وارتدى جلباب من حرير وامتطى حصان ابيض ..

- كما خططنا بالضبط يا وارث

- أينعم

- الآن نولت ما رغبت فيه سابقا والآن نريد شيئا من جزيرتك

- ما هو

- تحت أساس الجبل كنز يخصنا وكما نعلم فكل مملكتك الخاصة فوق الجبل

- هل تخبرني انك تريد تدمير الجبل ؟

- نعم

- لن يكن ذلك في يوم ما دمت وذريتي أحياء على ظهر الجبل , هناك مملكتنا , ماضينا الذي سلف وأيام لم نحياها وسنبقى للاستمتاع بزهو جمالها

- كان بيننا اتفاق ؟

- نعم ولكنك لم تقل انك ستزيل الجبل بل طلبت بعض كنوز وخيرات من باطن الأرض وهي عندي بغير ذي قيمة

- لقد صرفنا ملايين لصناعة مسبار يستطيع زرع قنابلنا وتفجيرها حتى تستقل عن الدنيا كلها فقط من اجل كتاب محفوظ تحت صخور الجبل واستقدمنا ضحى من أجلك من اكبر مراكز البحوث حول العالم حتى ترتشف سعادة لم يحوزها أحد

- أنا من يملك طريقا إليها وكلي تأكيد أنكم لو استطعتم أكل روحي لفعلتم ولكنكم لم ولن تقدروا .. أم كنت تتخيل أن اتصالي بالعقل الكوني الذي نظم وسير وخلق لن يمكنني من رؤية ما يدور في مخيلات كانت أمامي كمياه بحيرة راكدة أرى فيها انعكاس وجهي كلما طل وجهي على سطحها

- كما توقعنا يا وارث ؟

- افعل ما تقدر عليه .. إلا الجبل ..

- أنا فعلت قبل أن تصل !!

.....

يضرب الفرس برجليه الرمال وينثره لعدة أمتار من فرط قوة ورعد سرعة ينطلق بها نحو الجبل .. والشمس تشرق ليوم جديد ويرى كلما اقترب خيالات لأطياف صغيرة تطير حول الجبل ويشم رائحة عبيرها ينتشر حول انفه كلما اقترب

.. يأكل الفرس الأرض جريا وضربا ولكنه لا يقترب فكلما اقترب كانت تبتعد عنه صور أولاده يتساقطون كدمى خشبية من أعلى الثغر من منتصف الجبل وضحى تحتضنهم جميعا وكل ضربة سيف على جسده كانت تفصل أوصاله ويؤخذ منها جزء من كبد

ذاق الرمال في فمه وهو يبكي دما من أطراف أصابعه محاولا الصعود ليلحق حتى بشذا منهم وحصانه يتسلق بأقدامه الأمامية خلفه محاولا تتبع مليكه وصاحبه .. رأى طيفها يطير من جديد بعد أن انفصل عن روح قادها واتسق مع جسد ليلاقيه مرة أخرى بعد عذاب وآلم ... وهنا عرف يوم وجدها تغرق في البحيرة كيف رأي في عقله شكلها فقد خاطبته وهي تنزلق وأرسلت بعقلها رسائل وداع وآلم فقد كانت تحاول اختراق حيز بحثا عن سمو تهرب هي ووارث من عادات وتقاليد بالية ولكن شفافيتها لم تكن بعد قد اكتملت فلم تتحمل اتصال وتواصل وهوت بجسدها تاركة روحها تدور حول قلبه حتى ائتلفت مع ضحى يوم تركت هي الأخرى التجسد وسعت إلى سمو تبحث فيه عن سعادة غامرة .. وهنا تركتها عند الجبل وصعدت تدور في دوامات سريعة للارتفاق مع اكتمالها . ودارت ضحى حوله تضع يده على وجهه ولكنه لم يشعر بها فاكتمال روحه قد صعد .. طارت تقف أعلى الجبل وترى جنة خوت من أهلها وعليها أن تهيم هي الأخرى حتى اكتمالها , انتظرت موته أو انسلاخه من جسده حتى تبحث لنفسها عن اكتمال سعادة فمعه هي الأخرى عاشت واستمتعت .. مر اليوم بشمسه تحرق الأشجار من فرط قيظها , ظل مكانه ناظر للجبل لا يقوى على التحرك نحو بضع خطوات حتى جاء شبح وارتسم أمامه كان النافث بشؤمه ..

لمـاذا لـم تمـت .. فـي أي شـيء طامعـا .. سـعادتك وقـد حزتها واليوم لك أن تعرف ,, أن لك بنتا من نسلك في أحشـاء روجيكا كانت وهي اليوم تدب برجلها على الأرض ولا تعرف أن أباها هو أنت .. وأيضا اسمها .. ضحى

ترك الحياة ساعتها فلا قلب ولا عقل يتحمل المزيد من آلم .. وهامت روحه تدور هي الأخرى في دوامات متتالية .

٢٤

كان البرنامج ينص على أن يسترخي ثلاثتهم متجاورين على وسائد إسفنجية في وسط حديقة صممت كقطعة من الجنة ليس بها إلا أشجار وورود وجدول صغير تسير مياهه بحنو ورقي ثم إخضاع الجسد باستخدام المركبات الكيميائية للدخول في نوم تام والانفصال عن الأداء الفسيولوجي له فهم عقليا معزولون عن العالم الواقعي الذي نعيشه ولكنها كما تبحث أرادت الرقي بهم إلى مستوى لم يدركه إلا القليلون من البشر .. أثارت تجربتها فضول كل الباحثين من حولها ولم تقبل إلا بصديقتها سارة أن تكون ملاحظة ومدونة لنتائج الجلسة ..

وبعد ساعتين بالضبط من تخطي مستوى النوم الأول لدى العقل الواعي انخرط الإدراك الكلي في عمق النوم وصوت المياه يختلط بروائح الورود وحفيف الأشجار من حولهم .. ثم تحرك فم الصغيرة بكلمات عربية وهي تنادي على وارث وتحذره من الاقتراب من شخص ينام داخل ثغر بسيط في جانب الجبل شكله طفل ولكن له لحيه بيضاء وكأن عمره ألف سنه .. ثم همهمات وضحكات صغيرة متقطعة وقبل أن تختفي الضحكات تكلم الرجل ابن الثانية والأربعون بصوت شاب عشريني بلغة عربية سليمة يبحث عن حبيبته وينادي بأعلى صوت له ويرتد الصوت من قاع بحيرة صغيرة إليه ثم بكاء داخل النفس ونحيب متواصل وصوت أنفاسه اختنقت وهو يقول أين هي ابنتي ؟ لترد الأنثى ابنة الثامنة والعشرون متوسلة لأحدهم أن يقطع أوصالها ويتركهم وصراخها يضرب

صدغ الجبل من حولها فيرتد مدويا ومقشرا طبقات باليـة علـى سطح الصخور.

لم تعرف سارة أن تكتب شيئا في السجل بـين يـديها .. بـل جحظت عيناها ونظرت مطولا إلى ضحى .

واستمرت الجلسة ما بين ست ساعات متواصـلة وفـي كـل مرة يتحدثون كانت مقتطفات أحيانا مؤلمة وفي الأخرى سعادة منتقصة ومشوبة بألم يظهر في نبرات الصوت ..

جلست ضحى وبجوارها سارة في وسط الشقة أعلـى بـرج كبير في عمق باريس العاصـمة .. وأظلمـت الأضـواء ودارت اسطوانة كبيرة تصدح بنغمات حالمة للموسيقار بـخ . لـم تكـن سارة قد وصلت إلى مستوى يضـاهي أدنـى مسـتويات ضـحى لأنها مازالت مرتبطة بمستوى روحي دنيـوي يسـمى المعيشـة البائسة بينما ضـحى منـذ حلمـت بسـعادة وهـي صـغيرة كانـت تـرى طيرانهـا فـي وسـط راقـي ومرتفـع .. انتهـت الجلسـة وخرجت سارة لقضاء بعض الاحتياجات كما أنها ستزور أمها ..

فنامت ضحى وكل ما يشـغل بالهـا .. والـد هـي مـن نسـله وأب رباها ولم تكن مـن صـلبه وحلـم بسـعادة وإفضـاء لـروح رجل تعطيها كل أحلامها ..

- أنا والـدك .. لطالمـا انتظـرت تلـك اللحظـة منـذ زمـن حتى أراك وأخبرك بان تحققـي سـعادة بحثـت عنهـا أنـا وأمـك والتي لم تعش أيام حتى أعود واحقق لها ما حلمنا به وهـا هـي السمرلاند على بعد خطوات لتستقري بهـا أتـرين تلـك البيـوت الملونة ذات القباب إنها هناك تنتظرك علـى أمـل لقـاء يجمعـك بها

.....

وجلس البروفسور ألبير يقرأ كتاب مترجم مكتوب على غلافه الغليظ بالفرنسية بخط عريض ومزخرف" ابن قيم الجوزية كتاب الروح" .